

الاهـداء

الى كل اخ محب للعلم متطلع لعزة المسلمين وكرامتهم،
حريص على هدايتهم وافادتهم .

اهدي هذا الكتاب مع دعائي للجميع
وشكري وتقديري



كتاب لم تكن تدري بأني
سأنقله اليك بغير من
فصنه اذا ظفرت به وكن لي
على نشر الفضيلة خير عون

المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب

لمعة البيان

في احداث آخر الزمان



وهو كتاب شامل لجميع شؤون آخر الزمان وما
جرى وما سيجري فيه من أحداث .

استقصيت ما جاء فيه من كتاب الله وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم مع بعض الشروح والتعليق التي
وفقني الله تعالى لبسطها بصورة مختصرة .

تأليف الراجي عفو ربه

الشيخ

علي علي محمد

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله العليم الخبير ، السميع البصير ، الحي
القيوم ، الدائم الذي هو على كل شيء قدير ، نحمده
على هدايته لنا ، ولطفه بنا ، وحمايته عقيدتنا ، وصيانته
ديننا ، ونثني عليه سبحانه بما هو له أهل ، ونشكره على
سوابغ نعمه وعظيم فضله ، فنعمه لا تحصى ، وانعامه لا
يحده العدد فيستقصى ، فله الحمد حقاً ، وله الخضوع تعبدًا
ورقاً ، فهو المعبود بحق ، وهو المذكور بيقين وصدق امرنا
وعلينا الامثال ، ونهانا وعلينا اجتناب نواهيه في كل حال ،
جعل في عباده هداة مهدين ، رحمة منه لحفظ العلم في بلاد
المسلمين ، وصيانة سنة سيد المرسلين ، فما من زمان
ولا مكان الا وله من هذا الجعل نصيب ، ولا منبر الا وله
فيه مرشد وخطيب ، احاط الامة المحمدية بعنايته التي لم
تحظ بها امة من الامم ، ويسر لها من اسباب الهداية ما دفع
عنها البلاء والنقم ، فهي بذلك باقية ما بقي الزمان ، عامرة
بلادها دائماً وابداً بالهدى والايمان ، نسأله تعالى سؤال
الراغبين ، وندعوه دعاء المضطرين ، ونلجأ الى جواره لجوء
العائذين ، ونتوب اليه توبة الصادقين ، لعلنا نحظى
منه بنظرة يخرجنا بها من مضايق الكروب ويدفع عنا بهما
شر الخطوب ، انه سميع قريب مجيب ، آمين . أما بعد :

بعون الله وتوفيقه وهدايته وتشويقه ، طرقت مستعينا
به باب هذا البحث النافع ، بالتثبت والترفق حرصاً على
سلامة القارئ والسماع ، لا لاني المنفرد في هذا الميدان ،
فقد سبقني اليه لفيف من أجلة العلماء ارباب الاجتهاد
والعرفان ، لكن لما لم يكن بد من احياء هذا التراث
الوافر ، اخترت للنجاة من التخلف أفضل المصادر ، وجعلت
ذلك دليلاً على عظم المنة ، وعن يميني وعن شمالي بوارق

من لوازم سواطع الكتاب والسنة وسرت على بركة الله
يحدوني الجد واليقين نحو ما صبوت اليه من تأليف هذا
الكتاب الثمين ، حيث جاء ملما بشؤون الساعة صغراها
وكبرها ، بعد أن طلبتها من أقصاها الى أدناها ، فما غاب
عني فهو موكول لما تضمنه معناها ، وكل ما هو
ثابت بنص الكتاب والسنة فعليه يكون المعول لانه من الزلل
جنة وقد بدأت بذكر اشراط الساعة الصغرى ، حيث بدأت
منذ عهد النبوة متوالية تترا ، وذلك بعد مقدمة تحدثت عما
أحاط به النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بهذا الشأن
خبرا ، وقبلها ذكرت الايات القرآنية الواردة في هذا الشأن
مع شرحها المأخوذ عن العلماء ذوي التأييد والعرفان ،
ثم جاء الحديث عن الاشرط الصغرى لكونها مقدمة للاشرط
الكبرى ثم تحدثت عن مهدي آخر الزمان بحديث بعيد
عن فتنة الشيطان ، ثم استعرضت بعض النواحي الهامة
بالبيت الحرام ، ثم أوردت طائفة من الاحاديث المتعلقة
بشؤون الساعة بكافة أنواعها ، مع ايراد ذكر الاشرط
الكبرى حتى نهاية الزمان .

ثم أوردت بعض الاحاديث الواردة في السلامة من فتن
آخر الزمان حرصا على اسداء النصح لبني الايمان ، ثم
انتهى بي المطاف الى تقديم بعض النصائح الهامة مما ينبغي
للمؤمنين أن يعتنوا بها لما لها من راحة الاهمية ، مع
شروح بعض الاحاديث النبوية البهية ، والله أسأل أن
يتولانا جميعا فيمن تولاه وأن يحفظنا جميعا من الفتن ما
ظهر منها وما بطن وأن يجعل مسعانا خالصا لوجهه الكريم
اقتداء بسنة سيد المرسلين مع دعائي لكل أخ محب لدراسة
العلم وقد سميته « **لمعة البيان في احداث آخر الزمان** »
جعله الله خالصا له ، ونافعا لعباده ومذكرا بالتوبة اليه
انه نعم الهادي ونعم المعين . فأقول . وبالله التوفيق .

كلمة المؤلف

اعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ، ذكر أشراف الساعة في أحاديث كثيرة ، وفي مقدمتها الأحاديث التي تشير الى قربها كما نطق به القرآن الكريم . فقال عليه الصلاة والسلام « بعثت وأنا والساعة كهاتين » وضم بين السبابة والوسطى ، وفي حديث آخر « بعثت بالسيف بين يدي الساعة » وكما هو معلوم من أنه نبي آخر الزمان ، فالأمر في غاية الوضوح من مرور أربعة عشر قرنا على بعثته وهي مدة كبيرة جدا لها أثرها في تقريب ما أشار اليه عليه الصلاة والسلام . وكما خصص لذلك من أحاديثه الشيء الكثير ، فقد تضمنت ذكر كل حدث مستجد من حين ظهور أولها الى ما أعقب ذلك من الاشارات المتوالية حتى يومنا هذا والى أن ينفخ في الصور النفخة الاولى .

وقد جاءت الاحداث المستجدة مصدقة لآخباره عليه الصلاة والسلام كل كما أخبر عنه بوحى من الملك العلام ، وكما هو معلوم فإنه عليه الصلاة والسلام لم يحدد الزمن التي تقع أو تحدث فيه الفتنة التي أخبر عنها ، بل كان يقول: « يأتي على الناس زمان يكون فيه كيت وكيت ، أو يكون في آخر الزمان ما هو كيت وكيت » أو « لا تقوم الساعة حتى يكون كذا وكذا . وهلم جرا أو يلفظ « يصبح » أو بين يدي الساعة كذا وكذا ، الى آخر ما جاء في هذا الشأن ، وهكذا

فان جميع الاشراف الصغرى ظلت تظهر بتجدد الزمان حتى
أصبحت الان ليس منها علامة غير معروفة بل جميعها وقعت
فعلا كما ستراه مما سنقدمه لك مما هو مستند الى الاحاديث
المشيرة الى ذلك واذا أردت التأكد مما أثرت اليه فعليك بمراجعة
الكتب الموثوق بها لتقف على جليلة الامر غاية ووضوحا
فان العلماء لم يتركوا شاردة الا ردها ولا واردة الا عدوها
وبينوا لنا الغث من السمين ، ونصحوا لله ولكتابه ولرسوله
ولائمة المسلمين وعامتهم أجمعين ولم يتركوا ثغرة الا
سدوها ، ولا شبهة الا اجتنبوها فاعاننا الله كما أعانهم
وأهلنا جميعا لحمل ما حملوه انه نعم المولى ونعم النصير .

المؤلف

الباب الاول

« الآيات القرآنية الواردة في ذكر

اشارات الساعة والسؤال عنها »

١ — قال تعالى : « فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة
فقد جاء وشراتها » (٢) — أي علامات الساعة وامارتها .
وكانوا قد قرأوا في الكتب السابقة أن محمدا صلى الله عليه
وسلم آخر الانبياء ، وأن بعثته من اشراتها وأدلتها كما
ثبت في الصحيح عن أنس رضي الله عنه انه قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم « بعثت أنا والساعة كهاتين » وضم
السبابة والوسطى وهذا لفظ مسلم وقد خرج هذا الحديث
كذلك البخاري والترمذي وابن ماجة ، ويروى « بعثت أنا
والساعة كفرنسي رهان » وقيل « اشراتها » أسبابها التي
هي دون معظمها ولذلك فقد جعلوا اشرات الساعة قسمين ،
صغرى ، وكبرى ، ويمكن القول بأن الاشرات تنقسم الى
ثلاثة أقسام ، صغرى ووسطى وكبرى ، فعلى هذا التقسيم
يكون الزمن الذي نحن فيه زمن الاشرات الوسطى ، وهي
التي يعقبها الاشرات الكبرى ، والتي تبدأ بظهور مهدي آخر
الزمان ، ثم يعقبه نزول عيسى عليه السلام . الخ .

٢ — قال تعالى : « اقتربت الساعة وانشق القمر » (٣) وهذا
مثل قوله تعالى في سورة النجم « أزفت الازفة » ليس لها
من دون الله كاشفة » والازفة : هي القيامة ، ومعنى
أزفت — أي قربت — لانه قد مضى أكثر عمر الدنيا ، فقد
روي قتاده عن أنس رضي الله عنه انه قال : « خطب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كادت الشمس تغيب

(٢) سورة محمد عليه السلام آية (١٨)

(٣) سورة القمر آية (١)

فقال : « مابقي من دنياكم فيها مضى ، الا مثل ما بقي من هذا اليوم فيها مضى » قال : وما نرى من الشمس الا يسيرا ، وتقدير الكلام انشق القمر واقتربت الساعة والفعالان اذا كانا متقاربين يجوز فيهما التقديم والتأخير ، قاله « الفراء » وذكر القرطبي في تفسيره عن جماعة من المفسرين قولهم « لم يقع انشقاق القمر بعد وهو منتظر فعلى هذا يكون معنى الآية الكريمة اقتربت الساعة وانشقاق القمر » ان الساعة اذا قامت انشقت السماء بما فيها وهذا الكلام محمول على وقوع ما أخبر عنه القران الكريم عند قيام الساعة ، ولكن القران الكريم ذكر انه سيصيب القمر عندها خسوف ، وليس انشقاق والفرق بين الخسوف والانشقاق ظاهر فان معنى الخسوف هو عبارة عن ذهاب نور القمر بالكلية وقال بعض العلماء اذا خسف بعض القمر كان خسوفا واذا خسف القمر كله كان خسوفا فما يصيبه يوم القيامة على غير ما يصيبه قبلها ، ولكن انشقاق القمر قد وقع فعلا بدليل قوله تعالى « وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » سورة القمر ، وقد راوه فعلا وذلك عندما طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وقالوا اي — المشركون ان كنت نبيا صادقا فانشق لنا القمر فرقتين ، نصفا على أبي قبيس ، ونصفا على قعيقعان فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه : ان فعلت تؤمنون ؟ قالوا : نعم : وكانت ليلة بدر — اي — ليلة تمه ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعطيه ما قالوا ، فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي المشركين : يا فلان . يا فلان . اشهدوا ، وفي حديث ابن مسعود انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش : هذا من سحر ابن أبي كبشة ، سحركم فاسألوا السفار . فسألوهم فقالوا ، قد رأينا القمر انشق ، فنزلت « اقتربت الساعة وانشق القمر » الايات ، وانشقاق القمر ، من معجزاته صلى الله عليه وسلم ، وهي من المعجزات العلوية ٥١

٣ — قال تعالى : « يسئلونك عن الساعة أيان مرسها ، قل
 انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ، ثقلت فسي
 السموات والارض ، لاتأتينكم الا بغتة يسئلونك كأنك خفي
 عنها ، قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون » (١)
 والسؤال عن معرفة زمن وقوعها ، وذلك على وجه التحديد ،
 وهو سؤال تعنت وليس سؤال اذعان لان الذين سألوا ذلك
 ليسوا مؤمنين ، وقد قالوا : « ان كنت نبيا فاخبرنا عن
 الساعة متى تقوم ؟ وكما لا يخفى فان الآية الكريمة جاءت
 تسد باب مثل هذا السؤال ، لانه لا ينبغي لاحد أن يعلم
 ذلك ، لحكمة ارادها الله تعالى وفي معرفة اشراطها كفاية
 عن معرفة زمن وقوعها ، وقد تحدث القران الكريم عن
 اشراطها ، فالحزم أن يتأهب الانسان لمقابلتها ، لا أن يكثر
 السؤال عنها ، واليك معنى ما جاء في الآية من الفاظ كريمة .

قوله تعالى « أيان » — أي — متى زمن وقوعها ،
 «مرساها» وهو نفس المعنى لـ «أيان» ومعنى «لا يجليها
 لوقتها الا هو » — أي — لا يظهرها ، لان معنى «التجلية»
 «الظهار» أي — اظهار الشيء المخفي ، ومعنى «لوقتها الا
 هو» — أي — لا يظهرها في وقتها الا هو ، ومعنى قوله
 تعالى «ثقلت في السموات والارض» — أي — خفي علمها
 على اهل السموات والارض لان كل ما خفي ثقل على
 النفس والفؤاد ، ومعنى اخر لهذه العبارة ، «لا تطيقها
 السموات والارض لعظمتها» ومعنى «لاتأتينكم الا بغتة» —
 أي — فجأة ، والخطاب عام وليس خاصا بهم وقد خاطبوا
 بهذا الخطاب ، مع انها تقوم على غيرهم ، بعد طلوع
 الشمس من مغربها ، لان قيام الساعة حكم عام يشمل جميع
 الخلاق لانهم يتساوون فيها بالموت — أي — يكونون أمواتا
 غير أحياء فتقوم عليهم مرة واحدة ، فتشلهم جميعا دون
 استثناء .

ومعنى قوله تعالى «يسئلونك كأنك حفي عنها» — أي
 — يسئلونك عنها كأنك حفي بهم ، فرح بسؤالهم ، مكرم
 اياهم بأخبارك اياهم عنها ، وذلك لانهم قالوا : بيننا وبينك
 قرابة فأسر البنا بوقت الساعة ، غير أن الجواب جاء يسد
 عليهم باب السؤال مرة أخرى ، وقال : « قل انما علمها عند
 الله » وهذا ليس تكريرا للجواب ولكن العلم الاول ، زمن
 وقوعها لا يعلمه الا الله ، والثاني ، لا يعلم كنهها الا الله
 تعالى « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » — أي — لا يعلمون
 أن النبي عليه الصلاة والسلام ليس عنده علم الساعة والله
 اعلم .

٤ — « يسئلونك عن الساعة ايان مرسها فيم أنت من ذكرها ،
 الى ربك منتها » — أي — في أي شيء أنت يا محمد من
 ذكر الساعة والسؤال عنها ، قال : ابن عباس : سأل
 مشركو مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم : « متى تكون
 الساعة ؟ استهزاء » فنزلت هذه الآية ، وقال عروة بن
 الزبير لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة
 حتى نزل قوله تعالى « الى ربك منتها » ، وعن أنس رضي
 الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم
 الساعة الا بغضبة يغضبها ربك »

٥ — قال تعالى « وما يدريك لعل الساعة قريب » (٦) والقريب
 عند الله تعالى قريب فعلا ولو كان عندنا بعيدا كما ذكر
 ذلك في اية أخرى بقوله عز وجل « وما يدريك لعل الساعة
 تكون قريبا » (٧) وفي هذا الحث والحض على العمل بالكتاب
 وتحقيق العدل الالهي فيما بين الناس ، فان كل ما هو آت ،
 آت وكل ما هو آت قريب ، قال تعالى « وما أمر الساعة
 الا كلمح البصر أو هو أقرب ، ان الله على كل شيء قدير » (٨)

(٥) النزاعات الايات ٤٢ — ٤٣ — ٤٤ الشورى

(٧) الاحزاب (٨) النحل

وقال تعالى « واقترب الوعد الحق » (٩) وقال تعالى
« اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون » (١٠)

وقد جاء خبر لعل بصيغة المذكر بينما لفظ الساعة مؤنث ، وذلك لان تأنيثها غير حقيقي لانها كالوقت ، وللمعنى لعل البعث قريب أو لعل مجيء الساعة قريب ، وقال الكسائي : قريب نعت ينعت به المذكر والمؤنث والجمع والمفرد بمعنى ولفظ واحد ، ومعنى اخر حذفت هاء التأنيث ذهابا بالساعة الى اليوم ، كما في قوله تعالى : « ان رحمة الله قريب من المحسنين » ذهابا بالرحمة الى العفو ، اذ ليس التأنيث أصليا ، ٥١

٦ - قال تعالى : « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » (١١) ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : لما نزلت « اقتربت الساعة وانشق القمر » قال الكفار : ان هذا يزعم ان الساعة قد اقتربت فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون ، فأمسكوا وانتظروا فلم يروا شيئا فقالوا : ما نرى شيئا ، فنزل قوله تعالى : « اقترب للناس حسابهم » فأشفقوا وانتظروا قرب الساعة ، فامتدت الايام فقالوا : ما نرى شيئا ، فنزل قوله تعالى : « أتى أمر الله » فوثب النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، خوفا ، فنزل قوله تعالى « فلا تستعجلوه » فاطمأنوا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « بعثت أنا والساعة كهاتين » وأشار باصبعيه السبابة والوسطى يقول « ان كادت لتسبقني فسبقتها » وقال : ابن عباس رضي الله عنهما ، كان بعث النبي صلى الله عليه وسلم من اشراف الساعة ، وأن جبريل عليه السلام لما مر بأهل السموات مبعوثا الى النبي صلى الله عليه وسلم ، قالوا - اي - أهل السموات الله أكبر قد قامت الساعة .

(٩) الانبياء

(١٠) الانبياء

(١١) النحل

الباب الثاني

في ذكر أشراف الساعة الصغرى

ولأنها قبل الاشراف الكبرى قدمنا ذكرها في هذا الباب فنقول وبالله التوفيق : روى البخاري ومسلم رحمهما الله ، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، قال : « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ماترك فيه شيئا الى قيام الساعة الا ذكره علمه من علمه ، وجهله من جهله ، وقد كنت ارى الشيء قد كنت نسيته فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل اذا غاب عنه فرآه فعرفه » .

وقد جاءت هذه الاشياء بتلو بعضها بعضا ، كل كما أخبر عنه صلوات الله وسلامه عليه سنذكرها على سبيل الاختصار مكتفين بذكر أسمائها كما يتطلبه حجم الكتاب ، فنقول :

بعد أن ثبت بأن بعثته صلى الله عليه وسلم ، بين يدي الساعة ، لأنه نبي آخر الزمان ، ثبت كذلك بأن موته صلوات الله وسلامه عليه من الامور التي تكون بين يدي الساعة ، كما ثبت من حديث عوف بن مالك حيث قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعدد بين يدي الساعة ستا : موتي ثم فتح بيت المقدس الحديث » ولأن الاحداث تأتي بعد موته كما بدأت بظهور كذابين ودجالين ادعوا النبوة وارتداد بعض الناس عن الاسلام وردهم الى حوزته بالسيف واستشهاد امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يدي غلام المغيرة بن شعبه واستشهاد امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وتشاجر الصحابة الكرام بسبب ذلك وما حصل بسبب ذلك من قتال وانقسام بعض الطوائف بسبب التحكيم وفتح بلاد فارس والروم وظهور الاسلام على جميع الشرائع في الارض وتنازل سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن عن الخلافة واستشهاد الحسين بن علي رضي الله عنه في كربلاء وظهور الفتن لسبب تطورات الاحداث

على اختلاف أنواعها كوقعة الجمل وصفين والحرّة وما أصاب المدينة المنورة والكعبة المشرفة من أذى وقتل ابن الزبير على يد الحجاج وقتال أهل المدينة وفتنة الفاطميين واستيلائهم على المغرب وفتنة التتار ونار الحجاز التي أضاعت لها أعناق الإبل ببصرى وظهور الرفض واستبداد الرافضة بالملك وفتنة القرامطة وزوال بعض الجبال عن أماكنها ووقوع خسوفات ثلاث خسف في المشرق وخسف في المغرب وخسف في جزيرة العرب وكثرة الزلازل والقتل والرجف والمسخ والقذف والريح الحمراء وما وقع من الأمور العظام من القحط وغيره ورفع الحجر الأسود ورضخ رؤوس أقوام بكواكب من السماء باستحلالهم عمل قوم لوط وظهور كوكب له ذنب وكثرة الموت كطاعون عمواس وكون الفتن تظهر بعد المائتين ويكون أسعد الناس لكع بن لكع والقباض على دينه كالقباض على الجمر وأن يتباهى الناس في المساجد وأن يقتل القطر وذهاب الصالحين الأول فالأول حتى تبقى حثالة كحثة الشعيير لا يبالى بهم الله تعالى به ومنها تصديق الكذاب وتكذيب الصادق وتأمين الخائن وتخوين الأمين وظهور اللواط وظهور المعازف والقيان وكثرة الشرط وفشو التجارة واستحلال الخمر والريسا واتخاذ الأمانة مغنما واتخاذ الزكاة مغرما والمغانم دولا وارتفاع الاصوات في المساجد وعقوق الوالدين ولبس الذهب والحريير واتقاء الرجل مخافة شره وتمني الموت واستقاضة المال وأن يكون زعيم القوم أرذلهم كأن يكون منافقا أو ملحدا وأن يلعن آخر هذه الأمة أولها ودخول الفتن في كل بيت وهذنة يغدر فيها أعداء المسلمين والتطاول في البنيان وأن تلد الأمة ربتها وأن يستخدم الصغير الكبير . وأن تزخرف المساجد وأن تظهر البدع ويقل الحياء وأن تترجل النساء وتظهر النساء الكاسيات العاريات رؤوسهن كاسنمة البخت المائلة وأن يطلب العلم لغير الدين وبيع الحكم وتظهر شهادة الزور والسحت والرشوة والظلم والبغي والجور والفساد في الأرض ونصر الظالم وخذلان المظلوم وتعطيل الحدود والحكم بغير ما أنزل الله وقراءة القرآن باللسنة بحيث لا يتجاوز الحناجر وأن يوسد الأمر إلى غير أهله كالكفرة والفسقة

والظلمة ومنع الزكاة والمن بالصدقة وأن ينكلم الروبيضة ، وأن يكون السلام بالتعارف وأن تكثر الغيبة والنميمة والحلف بغير الله والطلاق وأن تظهر الفواحش وأن يتبع الهوى والشهوات وتضيع الصلوات وتعطيل أمر الجهاد وأن يظهر الاشر والبطر والتكائر والتطاحن على الدنيا والحسد حتى يكون البغي عاما وأن تداعي الامم على الامة الاسلامية كما تتداعي الاكلة الى قصعتها وأن يكون هلاك الرجل من أجل المال وأن يعير الفقير لفقره وأن يروغ المؤمن بدينه روغان الثعلب وأن تتنافر القلوب وتتآلف اللسنة وأن تقطع الارحام وتؤكل الاموال بالباطل وأن يظهر الغش والمداينة ويرتفع الخشوع من المصلين وأن تتفرق الامة الى بضع وسبعين شعبة وأن يتقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كحرق السعفة وأن يتدافع أهل المسجد لاجدون اماما يصلي بهم وأن تكثر الخطباء والقراء وتقل الفقهاء وأن يكون الزواج من أجل المال وأن تطلب المعيشة بمعصية الله وأن يصدق المنجمون وأن يكون حديث المصلين في المساجد في أمر الدنيا ويكون أمر الناس طمعا كله وأن تتسع الامعاء وتنزع البركة وهو كناية عن عدم القناعة وأن يكتفي الناس بالاماني الكاذبة وأن يظهر موت الفجاءة وأن يقل الكرام وتكثر اللئام ، وأن تكسد الاسواق ويساء الجوار وأن تضيع الامانة وأن يقهر صاحب الحق وترد حجته عليه وأن يكثر الهرج وتكون الفتن كقطع الليل المظلم ، وأن يباع الدين بعرض الدنيا ، وأن يستأجر على الغزو ، وأن يرى الهلال قبلا فيقتال لليلتين ، وأن يكون المؤمن ذليلا وأن تخلوا القلوب من الخير وأن يكثر الهمازون واللامازون والغمازون ، وأن تدفع الزكاة للاجراء ، ويقدموا على غير المستحقين وأن ترتكب الكبائر ويترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن تطمئن القلوب الى الدنيا وينسى الموت وامر الآخرة وأن تتغير معالم الدين وأن يقتل الرجل الرجل لا يدري فيم قتله وأن يقبض العلم ويظهر ولد الزنا ويظهر السقارون وهم الذين تكون تحيتهم بينهم — اذا تلاقوا — التلاعن ، وأن تحزن ذوات الاولاد لعنوق اولادهم لهن وتفرح العواقر ، وتقوم الخطباء

فيجعلون حق الله لغيره ، وأن يمر الرجل بالمسجد لا يصلي فيه
 ركعتين وأن يجتمع القوم ليكون فيهم من يهاب في الله عز وجل وأن
 يتولى النساء مكان الرجال ويقعد الرجل مع القوم لا يمنعه من
 القيام من بينهم الا مخافة أن يقعوا فيه وأن تذلل العلماء ويظهر فيهم
 القتل ، ويستهان بشأنهم ، ويستهزا بهم وأن يذهب حياء الناس
 من الله تعالى والناس وان لا يوقر الصغير الكبير ولا يرحم الكبير
 الصغير وأن تمتطي ذوات الفروج السروج ويطلق ذلك على كل
 من السيارة والطيارة وما الى ذلك وأن يستهان بالقران فيتعرض
 للتمزيق وغير ذلك وأن يعظم رب المال وينكر الحق وتكون المشورة
 للنساء وتكون القلوب متباغضة والالسن مختلفة والاهواء جمه وأن
 تطول المنابر وتشارك المرأة زوجها في التجارة وأن تتشبه النساء
 بالرجال والرجال بالنساء وأن تكون القلوب كقلوب العجم مع أن
 الالسن سنة العرب وأن يتبايع بالعينة ، وهو بيع يحتال به
 صاحب المال على اكل الربا وهو معروف فيكتب الفقه وأن تمات السنة
 وتحيا البدعة وتكون العبادة عند قوم التلاوم وتطلب الدنيا بالآخرة
 ويذهب الاخلاص في الاعمال ، وتختلف القلوب وتأتلف الالسن وأن
 يفتخر الظالم بظلمه ويشيد البنيان وتنقض المواثيق ، ويتقارب
 الزمان ويكون الحلف بغير الله تعالى كالطلاق وما شابه ذلك
 وان تصعد الجهال المنابر ويركن العلماء الى الدنيا وأن تضيق
 الطرقات ويكثر اللعب بالميسر ونحوه ، وتظهر الالعب المختلفة ،
 والمزامير وغير ذلك وأن يقتل البريء انتقاما لا قصاصا كما يحدث
 عند بعض الجهله الذين لا يقفون عند حدود الشرع والاعجاب
 بالرأي وان كان مخالفا للصواب يكون أمرا مفروضا على الغير بغير
 حق ، وأن يظهر الشح ويطفف المكيال والبخس في الوزن وأن يظهر
 دعاة يدعون الناس الى النار ويصرفونهم عن طاعة الله عز وجل
 وارتكاب المعاصي كشرب الخمر واكل الربا وغير ذلك وأن يلعن
 آخر هذه الامة أولها الى غير ذلك من الامور المخالفة للدين وادابه
 وتعاليمه وحدوده عياذا بالله من ذلك كله .

وانت ترى أن هذه الامور التي ذكرتها لك موجودة في كل

زمان ومكان فالذي لاتراه في ناحية تراه في الاخرى وهكذا مـ
يزيدك يقينا من أن النبي صلى الله عليه وسلم « لا ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى » وأن ما أخبر عنه صلوات الله وسلامه عليه
كائن لا محالة ، وما ذكرت فهو بدون ريب من اشراط الساعة
الصفري والوسطى ، والتي يعقبها الاشراط الكبرى ، التي تبدأ
بظهور مهدي آخر الزمان ثم نزول عيسى عليه السلام وتنتهي
بطلوع الشمس من مغربها واغلاق باب التوبة بعد ذلك ، واخر
ما يكون رفع الكعبة والقران من الصدور والسطور ، وعندها
تقوم الساعة وسترى ذلك مفصلا كلا عند ذكره من هذا الكتاب وفي
مكانه منه .

الباب الثالث

في ذكر المهدي

خلاصة ما قيل في هذا الامام المهدي أنه سيظهر في آخر الزمان وان اسمه محمد بن عبد الله أو أحمد ابن عبد الله وأنه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة رضى الله عنها بنت محمد صلى الله عليه وسلم يتصل نسبة بالحسن أو الحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه يشبه الرسول صلى الله عليه وسلم في الخلق لا الخلق وأنه أجلى الجبهة أقتى الانف وأنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً وأنه يقيم شريعة الاسلام ويحيي ما اندثر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الاسلام تعلق كلمته في عهده ويلقي بجرانه (١٢) الى الأرض ويمكن له ويكثر الرخاء في زمانه من وفرة العدل وكثرة ما يعطي من المال لانه يحثو المال حثوا لايعده عدا وأنه يمكث سبع سنين الى تسع سنين وفي آخر عهده يظهر الدجال ، وينزل عيسى عليه السلام فيقتل الدجال وينتهي أمره ويقوم عيسى في أمة محمد صلى الله عليه وسلم بشرعية الاسلام وذلك بعد وفاة المهدي واعلم أنه ستكون علامات قبل ظهوره لابد من الاشارة اليها وذلك لابطال مزاعم المبطلين .

من هذه العلامات انحسار الفرات عن جبل من ذهب ، ومنها انكساف القمر في أول ليلة من رمضان ، والشمس في وسطه ومنها أن يكون اختلاف كثير في الأرض وبين الامم ومنها ظهور رجل يقال له السفيناني وظهور الابقع والاصهب والاعرج الكندي وظهور الجور والظلم بحيث لا ينصر مظلوم ولا يقيم في الأرض عدل وبذلك يفلت الزمام وتضطرب الحياة وغير ذلك وهناك علامات اخرى تركنا ذكرها روما للاختصار .

(١٢) يقر أمره ويستقر رواه ابو داود

الباب الرابع

في فكر الاحاديث الواردة في المهدي

وهي طائفة من الاحاديث الشريفة انتقيتها من بين احاديث كثيرة مذكورة في كتب متعددة مؤلفة في هذا الشأن .

١ — روى الامام احمد وابو داوود والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تذهب الدنيا ولا تنقضي حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي » (وفي رواية وخلقته خلقي)

٢ — أخرج أبو داوود ونعيم ابن حماد والحاكم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المهدي مني أجلى الجبهة أثنى الأنف يملا الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يملك سبع سنين » .

٣ — أخرج أبو داوود والطبراني عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملا الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا » .

٤ — أخرج الترمذي وحسنه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان في أمتي المهدي يخرج يعيش خمسا أو سبعا أو تسعا ، — زيد الشاك — فيجىء اليه الرجل فيقول يا مهدي اعطني اعطني ، فيحشى له في ثوبه ما استطاع ان يحمله »

٥ — أخرج الطبراني في الاوسط عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : « أمنا المهدي أم من غيرنا يا رسول الله ؟ قال : بل منا بنا يختم الله كما بنا فتح وبنا يستقذون من الشرك وبنا يؤلف الله بين

قلوبهم بعد عداوة بينة كما ألف بين قلوبهم بعد عداوة
الشرك » .

٦ — أخرج أبو نعيم عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « منا الذي يصلى عيسى بن مريم خلفه
فيقول عيسى عليه السلام : ألا وإن بعضكم على بعض
أمرأ تكربة الله لهذه الأمة »

٧ — أخرج الدارقطني في سننه عن محمد بن علي قال : « إن
لمهدينا آيتين لم يكونا منذ خلق الله السموات والارض
ينكسف القمر لأول ليلة من رمضان وتنكسف الشمس في
النصف منه ولم يكونا منذ خلق الله السموات والارض » .

٨ — أخرج نعيم بن حماد عن علي كرم الله وجهه قال : « المهدي
مولده بالمدينة من أهل بيت النبي عليه السلام واسمه
اسم نبي ومهاجرة بيت المقدس كثر اللحية أكحل العينين
براق الثنايا في وجهه خال في كتفه علامة النبي صلى الله
عليه وسلم يخرج براية النبي عليه الصلاة والسلام من
مرط معلمة سوداء مربعة فيها حجر لم تنشر منذ توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تنشر حتى يخرج
المهدي يمدده الله بثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه
من خالفهم وأدبارهم » .

٩ — أخرج أيضا نعيم بن حماد عن أبي سعيد الخدري عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال : « يأوي الي المهدي أمته كما
تأوي النحل الى يعسوبها يملأ الارض عدلا كما ملئت
جورا حتى يكون الناس على مثل أمرهم الاول لا يوقظ
نائما ولا يريق دما » .

١٠ — أخرج ابن الجوزي في تاريخه عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ملك
الدنيا أربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان ذو القرنين
وسليمان والكافران نمرود وبخت نصر وسيملكها خامس
من أهل بيتي » يعني المهدي .

١١ — أخرج ابو عمرو الداراني في سنده عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاتزال طائفة من امتي تقاتل على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم عند طلوع الفجر ببیت المقدس ينزل على المهدي فيقال : تقدم يا نبي الله فصل بنا فيقول هذه الامة امراء بعضها على بعض » وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق .

« تنبيه » جاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « لايزداد الامر الا شدة ولا الدنيا الا ادبارا ولا الناس الا شحا ولا تقوم الساعة الا على شرار الناس ولا مهدي الا عيسى بن مريم » .

اعلم أن هذا الحديث متكلم فيه لمعارضته الاحاديث الصحيحة وعلى تقدير صحته أن المراد من قوله « ولا مهدي الا عيسى بن مريم » — أي — لا مهدي على الاطلاق بالنسبة لآخر الزمان الذي يكون فيه عيسى عليه السلام ولانه من أولي العزم المرسلين وبحكم رتبة النبوة والرسالة فهو أفضل من « مهدي آخر الزمان » ولله فضيلة السبق على المهدي منذ وجوده الا أن كليهما يشتركان في هذا الاسم مع اعتبار تفاوت الرتبتين فالحديث لا يعني المعارضة وانما يعني اظهار رتبة النبوة على رتبة الخلافة مع أنهما يتساويان في الحكم بالشرعية الاسلامية وكلاهما يطلق عليه اسم مهدي وبالله التوفيق « كتبه مولفه »

(١٢) ذهبت الاخبار الى أن عيسى عليه السلام ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق وانه يصلي خلف المهدي آخر صلاة من حياته وان هذه الرواية التي نصت على ان نزوله ببیت المقدس والتوفيق بين الروایتين ان نزوله من السماء على المنارة البيضاء ومعنى نزوله ببیت المقدس يكون من حيث المعنى اللغوي كما يقال نزل فلان على فلان فالنزل من السماء على المنارة البيضاء والصلاة خلف المهدي في بیت المقدس .

« فصل »

اعلم انه جاء في بعض الاخبار أن ظهور المهدي عليه السلام يكون في وتر من السنين سنة احدى أو ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع وأنه بعد أن تعتدله البيعة يسير جنوده في الارض وأن السنة من سنيه كمقدار عشر سنين وأن سلطانه يبلغ المشرق والمغرب وتظهر له الكنوز ولا يبقى في الارض خراب الا يعمره وجاء في بعض الروايات الاخرى زيادة مدة على ما ذكر والزيادة تعني امتداد المدة لاجل يعلمه تعالى ولكن صريح النص كما علمت يفيد أن مدته تسع سنين ولا مانع من اطلاق معنى الامتداد على وجود البركة في الحياة بجميع نواحيها حتى تكون السنة كمقدار عشر سنين وحري أن تحظى هذه الناحية بمثل هذا الاطلاق كقولـه صلى الله عليه وسلم : « من أحب أن ينسأله في أجله ويبارك له في رزقه فليصل رحمه » .

ومعلوم أن الاجل والرزق مقدران لايزاد فيهما ولا ينقص منهما شيء وانما المراد من ذلك زيادة البركة فيهما وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ورأيت رجلا من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه » وذلك لما في بر الوالدين من الزيادة في البركة في العمر وغيره وبما أن الناس يكونون في عهد المهدي على مثل عهدهم الاول من الطاعة والالفة والمحبة والامن والعافية والطمأنينة والشعور بالراحة والسرور وعدم التوقع أو التوجس بحدوث ما ينقص من ذلك شيئاً فان الحياة مع توفر هذه الامور لاهلها تكون بلا شك حياة طيبة كريمة مباركة وهذا لا يخفى على من عنده أدنى تأمل .

« فصل »

تذكر فيه أسماء الكتب المؤلفة في المهدي

- ١ — البيان في أخبار صاحب الزمان — للكتبي الشافعي
- ٢ — البرهان في مهدي آخر الزمان — للمتقي

- ٣ — أخبار المهدي — لعباد الرواجني
- ٤ — العرف الوردى فى أخبار المهدي — للسيوطى
- ٥ — القول المختصر فى علامات المهدي المنتظر — لابن حجر
- ٦ — عقد الدر فى أخبار المهدي المنتظر — لجلال الدين يوسف
الدمشقى .
- ٧ — الجواب المقنع المحرر فى أخبار عيسى والمهدي المنتظر —
للشنقيطى
- ٨ — رسالة التوضيح فى تواتر ما جاء من الاحاديث فى المهدي
والدجال والمسيح — للامام الشوكاني
- ٩ — كتاب صفة المهدي — لابي نعيم الاصفهاني
- ١٠ — حقيقة الخبر عن المهدي المنتظر — لصالح الدين عبيد
الحديد الهادي
- ١١ — المهدي واشراط الساعة — للصابوني

وأما علماء السنة الذين أفردوا فى كتبهم أبواباً خاصة فى
المهدي فلا يبلغها الإحصاء وكلهم متفقون على ظهوره فى آخر
الزمان دون شك لأن الاحاديث الواردة فى المهدي بلغت حد التواتر
كما صرح به الشافعى وغيره وقد جاء فى فتح الباري على
صحيح البخاري لابن حجر رحمه الله قوله تواترت الأخبار بأن
المهدي من هذه الأمة وأن عيسى عليه السلام سينزل ويصلى
خلفه علماً بأن عيسى عليه السلام « رفعه الله اليه » وأنه
سينزل جزماً .

وقال : الشوكاني فى رسالته المسماة بالتوضيح فى تواتر ما
جاء من الاحاديث فى المهدي والدجال والمسيح قال : وقد ورد فى
نزول عيسى عليه السلام تسعة وعشرون حديثاً ثم سردها وقال
بعد ذلك وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى على من
له فضل اطلاع فتقرر بجميع ما سقناه أن الاحاديث الواردة فى
« المهدي المنتظر » متواترة وكذلك الاحاديث الواردة فى الدجال
متواترة والتي وردت فى عيسى عليه السلام كذلك متواترة فهـ
يسوغ بعد هذا لبعض أهل العلم أن يرد احاديث المهدي ويقرر

غيرها وكلها متواترة اذ أن الاحاديث المتواترة تعتبر حجة في الشرع ولا يجوز لاي كان أن يردها لان ردها غير مستند الى دليل .

« فصل »

نذكر فيه ما جاء في مسند الامام أحمد عن المهدي

١ — قال رحمه الله : حدثنا عاصم عن زر عن عبد الله أن النبي

صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي » اسناده صحيح .

٢ — حدثنا عمر ابن لبيد عن عاصم ابن ابي النجود عن زر بن حبش عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تنقضي الايام ولا يذهب الدهر حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي اسمه يواطىء اسمي » اسناده صحيح .

٣ — حدثنا يحيى يحيى بن سعيد عن سفيان قال حدثني عاصم عن زر عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تذهب الدنيا — أو — قال لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي » .

٤ — مروي بسنده عن محمد بن الحنفية عن أبيه عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة واحدة » أسنده ورواه ابن ماجه أيضا .

٥ — حدثنا حجاج وأبو نعيم قالا حدثنا فطر عن القاسم عن ابي بزه عن ابي الطفيل قال : حجاج سمعت عليا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو لم يبق من الدنيا الا يوم لبعث الله رجلا منا يملؤها عدلا كما ملئت جورا »

« هذه الاحاديث وردت باسناد جيد صحيحة وقد رمز لصحتها العلامة أحمد محمد شاكر »

« فصل »

نذكر فيه ما جاء في التذكرة عن المهدي (١٤)

١ — روى مسلم عن أبي نظره قال : كنا جلوسا عند جابر بن عبد الله رضي الله عنه فقال « يوشك أهل العراق أن لا يجبى اليهم قفيز ولا درهم ، قلنا من أين ذاك ؟ قال من قبل العجم يمنعون ذاك ثم يوشك أهل الشام أن لا يجبى اليهم دينار ولا مدى — أي — مد قلنا له من أين ذاك ؟ قال من قبل الروم ، ثم سكث هنية ثم قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يكون في آخر امتي خليفة ، يحثي المال حثيا ، ولا يعده عدا » قيل لابي نضرة وأبي العلاء أترى أن عمر بن عبد العزيز ؟ قالوا : لا

٢ — وفي الحديث : أن جيشا يؤمون البيت الحرام فإذا استووا على البيداء نادى أولهم آخرهم ارفقوا خسف بهم وبامتعتهم وأموالهم وذرائعهم الى يوم القيامة قال عبد الله بن عمرو ، فإذا خسف بالجيش بالبيداء فذلك علامة خروج المهدي « انتهى .

« فصل »

يقول مولفه أعانه الله تعالى : اعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر في الحديث الشريف أن جيشا يغزو الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم وقد جاء في بعض التصانيف أن السفيناني هو الذي يسير ذلك الجيش الى المهدي بعد مبايعته لان أمر السفيناني يومئذ يكون قد استفحل الى حد كبير من النفوذ والسيطرة والاستقرار ولان سلطانه يمتد حتى يشمل بلادا واسعة .

وهذه الاخبار تشير الى أن المهدي عليه السلام لم يتوقع ظهوره في وقت قريب لبعد الاحتمال لان ما عليه العالم في هذه العصور العارمة ومظاهره القوة الهائلة يستحيل معها ظهور رجل كالسفيناني وأنه يستطيع أن ييسط سلطانه على البلدان الواسعة

(١٤) تذكره القرطبي وهي المشهورة

وعليه فان امره يدخل في حكم الغيب الذي لا يعلمه الا الله تعالى لكن ظهور الاحداث العارمة والاختلافات الكثيرة المتجددة وسير العالم بما يملك من قوة نحو نشوب حرب عالمية ربما كان ذلك سببا في تقريب ظهوره اذا ما حدث تغيير عالمي بسبب الحرب وبعدها يمكن أن تحدث أوضاع غير ما عليه العالم اليوم فيكون ما هو كائننا في وقته المقرر له في علم الله تعالى .

ملاحظة : قوله تعالى « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم » (١٥)

هذه الآية الكريمة قيل في بعض سبب نزولها ، أنها نزلت في قريش حينما صدوا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين في غزوة الحديبية عن المسجد الحرام .

وفي قول آخر أنها نزلت في « بخت نصر » لما أخرج بيت المقدس وجعل مكانه محلا للتمامة حتى طهره المسلمون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل في النصارى وأمثالهم الذين ساعدوا « بخت نصر » على إخراج بيت المقدس .

وقيل المراد من هذه الآية إطلاقها على كل من يفعل ذلك أيا كان وهو الصحيح لان الآية تقول « مساجد الله » ولم تعين مسجدا في مكان ما .

أما شواهد الواقع فهي تقرر مطابقة إطلاق معنى الآية الكريمة وذلك بعد منع المسلمين في مدينة الخليل وغيرها من الصلاة في المسجد الإبراهيمي وغيره بسبب تحويله الى كنيس خاص باعدائهم كذلك فان في إحراق المسجد الأقصى ووضع في حالة محدودة بحيث لا يتمكن المسلمون من إقامة الشعائر الدينية فيه دليل على صحة إطلاق معنى الآية الكريمة والله تعالى يعلم نوايا الأعداء تجاه المسجد الأقصى بل وجميع المساجد في الأرض

المحتلة فيجب على الأمة الإسلامية أن تأخذ بزمام المبادرة قبل
فوات الأوان ٥١

« بشري »

في قوله تعالى « أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين
لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم » .

لما تبين لك من إطلاق معنى الآية الكريمة وإن الواقع
يشهد بصحة هذا الإطلاق كما أشرنا ففي قوله تعالى « لهم في
الدنيا خزي » دليل على أن كل من يفعل ذلك سوف يصيبه ذلك
الخزي إن عاجلاً أو آجلاً والخزي يكون بكثير من الأمور كدفع
الجزية مثلاً والأسر والنصر على من يفعل ذلك « والله يقضي بالحق »
وهو كما قال تعالى « والله يحكم لا معقب لحكمه وهو شديد المحال »
« ولا مبدل لكلمات الله » وهذا لا يعني أن نكتفي بذلك وهو حاصل
لا محالة ونترك الأمر للزمن لأن في ذلك إعطاء الأعداء فرصة تكلف
المسلمين مجهوداً كبيراً هم في غنى عنه لو أنهم طبقوا قانون الجهاد
في سبيل الله من أول يوم وفي قوله تعالى « وسعى في خرابها »
تحذير شديد للمسلمين من نوايا أعدائهم الذين يهدفون إلى النيل
من مقدساتهم كلها سمحت لهم بذلك الظروف .

ولذلك فأنني أهيب بالأمة الإسلامية أن تهب لتخليص
المقدسات الإسلامية من أيدي أعدائهم وأن يبذلوا في سبيل ذلك
كل غالٍ وثمين والله تعالى « يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً
كانهم بنيان مرصوص » .

« لماذا استحقوا هذا الخزي في الدنيا ؟ »

لأن الله تعالى أضاف المساجد له بقوله « مساجد الله » ومعلوم
أن الخلاف بين المسلمين وأعدائهم ينشأ من قبل أعدائهم وليس
من قبلهم لأنهم دائماً ومع جميع الشعوب يقفون إلى جانب الحق
وشرعية الإسلام واضحة في جميع مواقفها فهي تعطي كل ذي حق
حقه سواء كان صاحب ذلك الحق معاهداً أو مهادناً أو غير ذلك .

ولما كانت المساجد لله تعالى وأنها أقيمت ورفعت على أن تظل دائما مصونة الحرمه لأنها مصدر كل خير وهداية وصلاح وأن الذي يحافظ على حرمه المساجد فكأنما حافظ على حرمه صاحبها ومن انتهك حرمتها فكأنما انتهك حرمه الله تعالى قال تعالى « ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه » .

والمساجد كذلك انما وجدت وفق المنهج الرباني فهي بحكم وجودها الدائم حق من حقوق الله تعالى وبيوت له يجب على العباد جميعهم تقديسها والحفاظه عليها فالذي يمنع المساجد من أن يذكر فيها اسمه تعالى ويسمى في خرابها مخلوق متناول على سلطان الله تعالى وهاتك لحرماته وخارج على أوامره بظلمه وغطرسته والله جل جلاله غيور على حرماته فكل ظالم متكبر لا يؤمن بيوم الحساب يهتك حرمت الله تعالى ويغير شريعته في سلطانه سوف لا يهمل الله أمره وان أمهله بعض الوقت وإذا تمادى في ظلمه وظلم العباد وسعى بالفساد في البلاد أملى الله له ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر والبسه ثوب الخزي في الدنيا وأذاقه العذاب الاليم في الآخرة وتلك سنة الله تعالى ولا تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا قال تعالى « فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغفلة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » (١٦) .

وفي الحديث الشريف « ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته » .

الباب الخامس

« في معنى آخر الزمان »

اعلم وفقني الله وإياك لطاعته أن الزمان المعبر عنه بأن له آخرًا هو الذي بين آدم عليه السلام وبين قيام الساعة لأن ذلك مما يمكن الحديث عنه أما ما قبل آدم وما بعد قيام الساعة فليس بالإمكان التحدث عنه إذ أنه غير معلوم لدينا بحال إلا ما نعرف عنه بأنه ذو طرفين متصلين بالأزل والابد أما الطرف الأول فقد نشأ مع خلق الله السموات والأرض وهو غير معلوم لدينا ولا لدى أي إنسان لعدم وجود الأدلة التي تحدد ذلك بالنص الصريح وأن ما يجري من تخمينات حوله فلا يلتفت إليه لعدم استناده إلى الأدلة اليقينية . وأما الطرف الآخر المتصل بالابد فهو كذلك لا يدخل تحت حكم دوران الافلاك لأنها تكون قد انتهت وبطل حكمها بانتهاء مدتها فليس فيه دقائق وساعات وأيام وأسابيع وشهور وسنين إلا أن الذي نعرفه عنه أنه دوام مطلق مع أبد الابد بدون انتهاء .

والحديث الذي ينص على كتابة المقادير قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة والذي يقول فيه عليه الصلاة والسلام « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » (١٧) فهو عبارة عن تقدير مدة قياسية من قبل النبي عليه الصلاة والسلام حيث أطلعه الله على حقيقة هذا التقدير القياسي لأن ما قبل السموات والأرض داخل في حكم الأزل وهو عبارة عن اثبات القدم لواجب الوجود فليس هو على الحقيقة زمنًا وإنما هو الحكم الثبوتي الذي يتعلق بوجوب القدم لمن ليس له أول وهو الله تعالى ولا يفهم من ذلك إلا كون العرش كان على الماء كما قال « وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء » وأما ما حدده الحديث الشريف فهو تقدير قياسي كما ذكرنا ويبقى الأمر هل الماء مخلوق

قبل العرش أم أن العرش ينتدمه في الایجاد الاول وهذا مالا يمكن معرفته الا انه يوجد خلاف بين العلماء في تعيين قدم كل من العرش والقلم والكرسي والنور والظلمة فعند الامام أحمد عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول ما خلق الله القلم ثم قال اكتب فجرى تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » . قال الترمذي في هذا الحديث : حسن صحيح غريب والذي عليه الجمهور « أن العرش مخلوق قبل القلم » يقول تعالى : « وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء » (١٨) . فالعرش والماء مخلوقان بنص هذه الآية الكريمة قبل كل شيء والقطع بتقديم أحدهما على الآخر غير مسوغ .

وأما الايام التي خلق الله فيها السموات والارض فمختلف فيها عند العلماء فعند بعضهم كل يوم كآلف سنة وعند الجمهور انها كأيامنا هذه .

فمن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال « خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد عصر يوم الجمعة آخر خلق خلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر الى الليل » رواه أحمد وكذلك رواه مسلم عن سريج بن يونس وطروف بن عبد الله ورواه النسائي بسنده عن أبي هريرة « وقد ذكر أن في هذا الحديث شيئا من الغرابة » لقوله تعالى « قل انكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين فقضيهن سبع سموات في يومين وأوحى

في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصبيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم» (١٩) وذلك مما يحمله قوله تعالى « الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش » (٢٠) ولنرجع الى ما نحن بصدده فالزمان الذي لسه اخر كما تقدم وهو الذي بين ادم وقيام الساعة وهذا الزمن كذلك غير معروف بالضبط وان كان من الممكن أن يدخل تحت حكم الحساب لكن ليس هناك حسابات تشير الى ضبطه وقد حاولوا حصر ذلك من قبل احاديث الله أعلم بها ذكروا بأنها مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي تحدد هذه المدة وتحصرها في سبعة الاف سنة وهي قريية من تسعة وهي تفيد أن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم جاءت في اواخر الالف السادسة وبهذا يكون مدة أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تتجاوز الالف وخمسمائة سنة وهذا الكلام غير مسلم به لانه لو كان كذلك للزم أن تقوم الساعة في هذا الزمن ولكن أين نحن من الساعة والاشراط الكبرى بعد لم تظهر ؟ ونحن نعيش في زمن الاشرط الصغرى علما بأن الاشرط الكبرى تبدأ بالظهور وقت ظهور المهدي الذي ينزل فيه عيسى عليه السلام والقران الكريم يقول في عيسى عليه السلام « وانه لملم للساعة فلا تترن بها » (٢١) (الزخرف) ثم بعد ذلك تتتابع الاشرط كنظام انقطع سلكه فتتتابع حتى اخر علامة منها وفي صحيح مسلم عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال « اطلع علينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون ؟ قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان ، والدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج وثلاث خسوفات خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم » هكذا وردت

(١٩) فصلت اية ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢

(٢٠) السجدة اية ٤

غير مرتبة : وهذه الايات العشر منها ما هو من الايات التي هي دون الكبرى ومنها ما هو من الايات الكبرى كما سيأتي ولنرجع الى ما نحن بصدد من البحث عن معنى آخر الزمان .

علينا مما تقدم أن ظهور بعثة النبي صلى الله عليه وسلم من علامات الساعة وذلك كما ورد في النصوص القرآنية المشيرة لذلك كحادثة انشقاق القمر وما يفهم من قوله تعالى « اقترب للناس حسابهم » وقوله تعالى « اتي امر الله فلا تستعجلوه » وقوله تعالى : « وما امر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب » وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » وضم بين السبابة والوسطى وقد مر تخريجه « وقوله صلى الله عليه وسلم : « ان كادت لتسبقني فسبقته » الى غير ذلك من الاخبار الثابتة في الكتاب والسنة .

وأما ما يتعلق بمعنى آخر الزمان من حيث التعبير اللغوي فهو في غاية الوضوح إذ أن معنى آخر مفهوم سواء كان آخر المسافة الذي يتعلق بالبعد المكاني أو البعد الزمني والمعنى يتناول جميع القياسات والمسافات وهو المعلوم .

وقد ورد لفظ آخر الزمان في كثير من الاحاديث النبوية الشريفة والاحاديث في ذلك ذات وجوه متعددة فتارة تقول « اذا كان آخر الزمان يكون كذا وكذا ، وأخرى تقول سيكون في آخر الزمان ما هو كذا وكذا وتارة تقول سيصيب أمتي في آخر الزمان ما هو كيت وكيت وأخرى تقول بين يدي الساعة كذا وكذا وتارة تقول لا تقوم الساعة حتى يكون كيت وكيت ، وهكذا وجميع هذه الالفاظ تلتقي على معنى آخر الزمان .

الا أنه لا يفهم من هذه النصوص الاشارة الى حد معين يعرف منه بعد الآخر فقد دخل في أوله — اي — آخر الزمان منذ أربعة عشر قرنا وهذه المدة الطويلة كلها تدخل في حكم آخر الزمان ومن خلال ذلك تعرف أن آخر الزمان لا يعني أنه يفيد التحديد وإنما

يعني أنه آخر ليس بعده آخر . . آخر الا انه يمكن تقسيمه الى ثلاثة أقسام :

الاول : (أول الآخر — الثاني — وسط الآخر — الثالث آخر الآخر) وعليه فالعلامات جاءت ثلاثة أقسام صفري وهي التي تقع أول الآخر ووسطى وهي التي تقع في وسط الآخر وكبرى وهي التي تقع في آخر الآخر .

والذي يفهم من النصوص النبوية أن القسم الاول من آخر الزمان قد انتهى والعالم اليوم في اوائل القرن الخامس عشر للهجرة ربما يعاصر آخر الوسطى أو : أول آخر الآخر والذي يبين ذلك ظهور العلامات الكبرى اي ظهور أول علامة منها وهي التي تبدأ بظهور «المهدي» الذي ينزل عليه عيسى عليه السلام ولا أقول ذلك جازما بظهور ذلك في أول القرن الخامس عشر لانه متروك لعلم الله تعالى والذي يقوى الاحتمال ظهور جميع العلامات الصفري والوسطى حيث أنها ظهرت جميعها ولم يبق منها شيء تقريبا الا ظهر ويبقى الامر موقوفا على امتداد وقت هذه العلامات الوسطى والله أعلم .

وفي الحديث الشريف « اذا رأيت الخلافة قد نزلت الارض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والامور العظام والساعة يومئذ أقرب من يدي هذه الى رأسك » رواه ابو داود والحاكم عن عبد الله بن حوالة وليس هناك خلافة يشار اليها من معنى هذا الحديث الا خلافة المهدي عندما يتخذ بيت المقدس مقرا لخلافته وامتداد الزمن مع العلامات الوسطى حتى ظهور هذه الخلافة لا يعلمه الا الله تعالى لكن ظهور كل من العلامات الصفري والوسطى مؤثر يشير الى قرب هذا الظهور والله اعلم .

« فصل »

جاء في الحديث الشريف قوله عليه الصلاة والسلام : « ساقى

القوم اخرهم شربا » والمعنى انهم لو كان القوم الفا فساقيتهم اخرهم في الشرب وليس بعده ساق اخر اذ ان العدد ينتهي اليه وبعد أن يشرب ينتهي هذا الآخر وكما جاء في قوله تعالى : وقالت طائفة من أهل الكتاب امنوا بالذي أنزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم» (٢٢) ومعنى وجه النهار « أوله » وسمى أوله وجهها لانه أحسنه وهو أول ما يستقبل منه وقد قال بعضهم لبعض أظهروا الايمان بمحمد في أول النهار ثم اكفروا به في اخره فانكم اذا فعلتم ذلك ظهر لمن يتبعونه ارتياب في دينه فيرجعون عن دينه الى دينكم ويقولون ان أهل الكتاب أعلم به منا ومعلوم ان آخر النهار هو ما بين صلاة العصر الى المغرب وقال تعالى : « وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين » — أي — أن أهل الجنة يطلبون حوائجهم فيها بقولهم « سبحانه اللهم » فاذا قالوا ذلك حضرت حوائجهم بين أيديهم فوراً وبعدها يحمدون الله على ذلك وليس بعد الحمد من ثناء والمعنى في غاية الوضوح فمعنى الآخر هو الخ ولما ثبت بالنص الثابت ان آخر الزمان يبدأ ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم وينتهي بظهور المهدي الذي تتبعه الايات الكبرى حتى قيام الساعة وأن العلامات الصغرى والوسطى للساعة ظهرت اذن فمعنى ذلك أن ما بعد العلامات الوسطى الا الكبرى وعليه فلم يبق أمام الامر الا امتداد وقت هذه العلامات الى ما شاء الله تعالى بيد أن الواقع الذي يعاصر هذا الزمن من حيث أنه لم يبق شيء غائب عن العيان يشير الى قرب العلامة الاولى من الكبرى والله أعلم (٢٣)

« بشري »

قوله تعالى في سورة الاسراء : « وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا » في هذه العبارة من الاية الكريمة وعيد من الله تعالى لمن خاطبهم وهم بنو اسرائيل وقد جاءت هذه العبارة في آخر سياق الايات الكريمة التي تحدثت عن بني اسرائيل حينما غزاهم

(٢٢) ال عمران اية ٧١ — ٧٢
(٢٣) كظهور جميع الاختراعات والاكتشافات والاسلحة المدمرة والمبيدة وغير ذلك

« نيوخذ نصر » من بلاد بابل بجنود فاقوا غيرهم في كثرة العدد والقوة والبأس الشديد وكان ذلك بسبب قتلهم زكريا ويحيى عليهما السلام والحادثة رهيبة جدا فيها عبرة ومزدجر وانذار شديد من الله تعالى لهم فانهم وكما هو معلوم من تاريخهم سيما المرحلة التي عاصروا فيها النبوة المحمدية لا تؤثر فيهم مثل هذه الاحداث الرهيبة ولا يتخذون منها مزدجرا ولا معتبرا اغترارا منهم بأنهم كما يزعمون « شعب الله المختار » ولا يلتفتون كذلك الى قوله تعالى « قل فلم يعذبكم بذنوبكم ، بل انتم بشر ممن خلق » فهم يبيحون لانفسهم من ظلم العباد واحتقارهم لهم وسلب حقوقهم وغير ذلك ما يجعلونه ممنوعا على غيرهم وان كان ما يفعلونه ظلما وعدوانا ولم يبالوا كذلك بتبديل نعمة الله تعالى كفرا وجحودا كما قال عنهم القرآن الكريم « سل بني اسرائيل كم اتيناهم من اية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جائته فان الله شديد العقاب » ومعنى ذلك أنهم بدلوا ما في كتبهم وجحدوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم واللفظ وان كان منسجبا على كل من يبدل نعمة الله تعالى الا أنهم يعتبرون أئمة هذا النوع من البشر والعياذ بالله تعالى لانهم اسبق الناس الى مثل هذا التبديل وبذلك استحقوا العذاب الشديد في الدنيا والاخرة وشواهد التاريخ تصدق ذلك فانهم بعد أن فعلوا ذلك أنزل الله بهم ما أنزل من الخزي والهوان والذلة والمسكنة وضرب عليهم ذلك حيثما ثقفوا وأينما كانوا لان عادتهم لا تتغير سواء كانوا مبعثرين في الارض أو مجتمعين في بقعة من بقاعها .

وهذه العبارة الائمة الذكر « وان عدتم عدنا » تشكل في معناها كيفية الجزاء الذي يترتب على ما فعل الله بهم بسبب تكرار جرائمهم في الديار المقدسة مما يؤكد بأن تكرارهم لمثل هذه الجرائم سيظل مستمرا ما سمحت لهم بذلك الظروف وأما ما فعلوه في الارض المقدسة في هذه المرحلة من سفك للدماء وقتل للابرياء ، وهدم للمعالم الانسانية والدينية وحرق للمسجد الاقصى وتحويل الحرم الابراهيمي الى مكان للفسوق والعصيان وغير ذلك من

الجرائم التي لا تعد والتي تتجدد في كل وقت من حياتهم كل ذلك لا يقل حجماً عن تلك الجرائم التي اقترفوها في عهد أنبيائهم عليهم السلام والتي استحقوا بسببها ما أنزل الله فيهم والمولى عز وجل قد توعدهم بأنهم ان عادوا الى مثل ذلك الفساد أنزل فيهم مقابل ذلك شديد العقاب وجعلهم عبرة بين العباد وما الله بغافل عما يفعلون حيث يقول في آية أخرى « واذ تأذن ربك ليعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ، ان ربك لسريع العقاب » (٢٤) الآية والمعنى : اعلم أسلافهم أنهم ان غيروا ولم يؤمنوا بالنبي الامي بعث الله عليهم من يعذبهم وهي أمة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم باقون الى يوم القيامة ومن خلال معنى هذه الآية الكريمة تلمح حقيقة هذه المرحلة بالذات وأنه لا مناص للامة الاسلامية من القيام بدورها التاريخي الكبير لان الآية تقول « الى يوم القيامة » وليس معنى ذلك أن الامر يؤخر حتى يجيء يوم القيامة لان ذلك مما يتعارض مع النصوص الكثيرة التي تنص على أن مدتهم في افسادهم قصيرة جداً وهذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود » (٢٥) الحديث وهو مشهور اذ ليس معنى ذلك أن المسلمين سينقاتلونهم على حقهم قبل ذلك وذلك في وقت لا يجدون فيه ملجأ ولا ملاذاً ولا ولياً ولا نصيراً كما جاء في نفس الحديث « حتى يقول الشجر والحجر يا مسلم هذا يهودي خلفي تعال فاقتلته » الحديث بلفظه في صحيح البخاري ومسلم وفيه « فيقتلهم المسلمون » فاعلم ذلك وأعد نفسك وإياك والشك فان كل ما هو ات وكل ما هو ات قريب قال تعالى « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » الآية في سورة الانفال وقال تعالى « كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين » المائدة

(٢٤) الامراء آية ١٦٧
(٢٥) رواه البخاري ومسلم

الباب السادس

في ذكر العلامات الكبرى للساعة

اعلم أن أشراف الساعة الكبرى آتية لا محالة وهي ثابتة بنص الكتاب والسنة وهي العلامات التي ليس بعد الأخيرة منها إلا قيام الساعة وهذه العلامات يأتي أولها بعد انتهاء العلامات الصغرى والوسطى وفي العلامات الصغرى كلام طويل إلا أنني قدمنتها في هذا الكتاب بصورة مختصرة وأما العلامات الكبرى فسيكون الحديث عنها فيه شيء من الإسهاب حسبما يقتضيه المقام وبعد انتهاء الحديث عنها يجيء الحديث عما للكعبة من مكانة عظيمة وعن بعض مالها من الخصائص والأشراط الكبرى ليس لها زمن محدد يعرف منه متى تجيء وليس هناك تقدير زمني بين العلامة والأخرى إلا أنه جاء في الحديث الشريف قوله « كنظام انقطع سلكه فتتابع » وخلاصة القول أن الأشراط الكبرى تأتي مبتدأة بظهور المهدي فالدجال فنزول عيسى فخروج يأجوج ومأجوج إلى آخره وأما أول وقتها فهي بلا شك يجيء بعد انتهاء الأشراط الصغرى والوسطى وأما كونها قريبة هي أم بعيدة ؟ فإن علم ذلك عند الله تعالى الذي أحاط بكل شيء علما ولنبدأ بعون الله في الحديث عنها :

العلامة الأولى : ظهور المهدي وقد مر الحديث عنه مستوفى ومختصرا . فارجع إليه في مكانه من الكتاب .

العلامة الثانية : ظهور الدجال

اعلم أن القرآن الكريم لم يتعرض لذكر الدجال بالنص الصريح كـيأجوج ومأجوج والدابة وغيرهما . إلا أن ظهوره يدخل في معنى قوله تعالى « فقد جاء أشراطها » ولم يتعرض القرآن لتفصيل هذه الآيات بصورة تشير إلى تعدادها وأما السنة المطهرة فانها لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا وبينتها بيانا كافيا وشافيا فما ثبت في السنة النبوية وجب الإيمان به ولا يجوز رده أبدا ، وقد ورد ذكر

الدجال في عدة اخبار تناقلها العلماء من اول يوم حتى يومنا هذا فقد جاء في صحيح مسلم عن النواس بن سميان رضي الله عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك غينا ، فقال « ما شأنكم » ؟ قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال : « غير الدجال أخوفني عليكم ان يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه . والله خليفتي على كل مسلم . انه شاب قطط (٢٦) عينه طافية كاني أشبهه بعبدالعزى ابن قطن ، فمن أدركه فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف . انه خارج بخلة بين الشام والعراق فعث يمينا وعث شمالا يا عباد الله فاثبتوا » قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض . قال : أربعون يوما . يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة اتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال لا أقدر له قدره قلنا يا رسول الله : وما اسراعه في الأرض ؟ قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبث فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى ، وأسبغه ضروعا ، وأمدّه خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون قوله فينصرف عنهم فيصيحون محلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيغاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيجعله جزلتين رمية الغرض . ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله تعالى المسيح بن مريم صلى الله عليه وسلم . » . الحديث كما هو واضح . وفي الحديث المتفق عليه عن ربعي بن حراش قال : انطلقت مع ابي مسعود الانصاري الى حذيفة بن اليمان رضي الله عنهم فقال له أبو مسعود . حدثني بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدجال قال : « ان الدجال

يخرج وان معه ماء ونارا فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق
وأما الذي يراه الناس نارا فماء بارد عذب فمن أدركه منكم فليقع
في الذي يراه نارا فإنه عذب طيب فقال أبو مسعود وأنا قد
سمعته .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « ما من نبي الا وقد أنذر أمته الاعور الكذاب ، الا انه
أعور ، وان ريكم عز وجل ليس بأعور مكتوب بين عينيه ك . ا .
ف . ر . متفق عليه ، الى غير ذلك من الاحاديث الصحيحة .

وهو كما علمت مخلوق أمره عجيب وشأنه غريب تتبلى به
العباد وتستجير من شره البلاد لم يترك بلدا الا ويدخله حائشا مكة
والمدينة المنورة فانهما محرمتان عليه ومحروستان بحراسة الله
تعالى ويحفظ المؤمنين من فتنته ولا يتبعه الا شرار الخلق ولكن الله
تعالى يعجل بأخذه حيث يبعث اليه عيسى بن مريم فيقتله قرب باب
لد في فلسطين .

وقد مر معنا أنه يظهر في اخر عهد المهدي عليه السلام وهناك
اخبار تتعلق بالدجال والكان الذي هو فيه وبعض العلامات التي
تدل على قرب ظهوره وغير ذلك من أوصاف حماره تركتها روما
للاختصار .

العلامة الثالثة : نزول عيسى عليه السلام .

ونزوله عليه السلام ثابت بنص الكتاب والسنة أما القران
فلقوله تعالى « وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها » والمعنى نزوله
عليه السلام علم للساعة أي من أشراتها الدالة على قرب ظهورها
ولانه كما قال القران « بل رفعه الله اليه » — أي — أنه بعد
لم يمت وأنه لا يموت الا بعد نزوله ومكثه في الارض أربعون سنة
وبعدها يقبض ويدفن على ما ذكر عند أخيه محمد صلى الله عليه
وسلم وقد أخبر عنه القران الكريم اذ يخبر عن موته بعد نزوله
بقوله « والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا »
وأما ما جاء في قوله تعالى : « فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم

وانت على كل شيء شهيد » فذلك لا يعني وفاته عند رفعه الى السماء والاحتجاج بهذه الآية غير جائز لان هذا الاستهزام يكون يوم القيامة حيث يقول له سبحانه وهو أعلم « انت قلت للناس اتخذوني وامى الهين من دون الله قال سبحانهك » الايات من سورة المائدة .

وفي قوله تعالى : « وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا » . دليل على أنه بعد حي لم يموت وأنه يموت مرة واحدة بعد انتهاء مدته في الارض وبعد نزوله كما تقدم .

تنبيه : في قوله تعالى « ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين » جاءت هذه الآية بعد الايات التي اخبرت عن عيسى عليه السلام حيث قال « وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها » حتى لا يكون في نفوس اهل العقيدة شك في نزوله والشك ليس من لوازم العقيدة فان نزوله يقيني والشك يرتفع باليقين واليقين من الايمان والشك من الكفر والنفاق والفرق واضح — اذن — فنزوله أمر يقيني بالنسبة لمقتضيات الايمان فمن كذب أو شك فيه الى حد يخل بمعنى الحق فقد كفر والعياذ بالله ، فليتدبر .

واما السنة : فقد تحدثت عن نزول عيسى عليه السلام في أكثر من حديث ففي صحيح مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لينزلن عيسى بن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير ، وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا يسمى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله أحد » وعنه أيضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف انتم اذا نزل بن مريم فيكم وامامكم منكم ؟ »

واخرج بن ماجه في سننه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان ليلة اسرى بي لقيت ابراهيم وموسى وعيسى فتذكروا الساعة فبدعوا بابراهيم

عليه السلام فسألوه عنها، فلم يكن عنده منها علم، ثم سألوا موسى عليه السلام فلم يكن عنده منها علم فرد الحديث الى عيسى بن مريم عليه السلام فقال « انه عهد الي فيما دون وجبتها (٢٧) فأما وجبتها فلا يعلمها الا الله عز وجل ثم ذكر - اي - عيسى عليه السلام فقال : فَأَنْزَلَ فَأَقْتَلَهُ ، وفي صحيح مسلم فبينما هو يعني المسيح الدجال اذ بعث الله المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهروردتين (٢٨) واضعا كفيه على أجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كالؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه في باب لد فيقتله » الحديث بطوله في رياض الصالحين وغيره وذكر الثعلبي والزمخشري وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ينزل عيسى بن مريم عليه السلام من السماء على ثنية من الأرض المقدسة يقال لها «أفريق» بين مصرين ، وشعر رأسه ذهين وبيده حربة يقتل بها الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر وامامهم يؤم بهم فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويخرب البيع والكنايس ويقتل النصارى الا من آمن به » وروى خالد عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الانبياء » اخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وانا أولى الناس بعيسى بن مريم انه ليس بيني وبينه نبي وانه أول نازل فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقاتل على الاسلام » .

تنبيه : لو لم يكن في الأدلة الصريحة التي تدل على نزوله عليه السلام الا قوله تعالى مخبرا عنه : « والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » لكفى وهذه الأمور الثلاثة لها ثلاثة أيام مضى منها يوم واحد وهو اليوم الذي ولد فيه وبقي اثنان

(٢٧) وجبتها - اي - هبتها

(٢٨) اي شقتين او حلتين

وهما يوم موته وهو اليوم الذي يموت فيه بعد نزوله والثالث يوم بعثه وهذا من الأدلة الواضحة التي تقرر نزوله فسيحان الله العليم الخبير .

العلامة الرابعة : خروج يأجوج ومأجوج

وقد ذكرهم القرآن الكريم في آيتين الأولى في سورة الكهف في سياق الحديث عن ذى القرنين فقال على لسان من شكا اليه فسادهم في الارض « ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض » والثانية في قوله تعالى في سورة الانبياء « حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون » وأما السنة المطهرة ، فقد جاء الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن النواس بن سمعان والذي يتناول فيه ذكر الدجال ونزول عيسى وقتله الدجال كما تقدم ، يقول فيه عليه الصلاة والسلام عند الحديث عن يأجوج ومأجوج .

« فبينما هو كذلك — اي — عيسى عليه السلام — اذ أوحى الله الى عيسى صلى الله عليه وسلم اني قد أخرجت عبادا لي لا يد لاحد بقتالهم فحرز عباده الى الطور «اي في جبال فلسطين» وبيعت الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر أوأخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ، ويحصر نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرسل الله عليهم النصف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة — اي — يموتون دفعة واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم الى الارض فلا يجدون فيها موضع شبر الا ملأه زهمهم ونتنهم ، فيرغب نبي الله عيسى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الى الله تعالى فيرسل الله تعالى طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل عز وجل مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلاقة ثم يقال للارض

انبتني شمر و ردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة
 ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الابل
 لتكفي الفئة (٣٠) من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من
 الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ (٣١) من الناس فبينما هم
 كذلك اذ بعث الله تعالى ريحا طيبة فتأخذهم تحت أباطهم فتقبض
 روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهاجون فيها
 تهاجر الحمر فعليهم تقوم الساعة » رواه مسلم .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه سألت النبي صلى
 الله عليه وسلم عن يأجوج ومأجوج فقال عليه الصلاة والسلام
 « يأجوج ومأجوج أمتان كل أمة أربعمئة ألف أمة لا يعلم عددها
 الا الله لا يموت الرجل منهم حتى يولد له ألف ذكر من صلبه كلهم
 قد حمل السلاح » قيل يا رسول الله صفهم لنا قال : « هم ثلاثة
 أصناف » صنف منهم أمثال الارز شجر طول الشجرة عشرون
 ومائة ذراع وصنف سواء نحوا من الذراع وصنف يفترش أذنيه
 ويلتحف بالآخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا أكلوه
 ويأكلون من مات منهم مقدمتهم بالشام وساقطهم بخراسان يشربون
 أنهار الشرق وبحيرة طبرية فيمنعهم الله من مكة والمدينة المنورة
 وبيت المقدس .

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يأجوج ومأجوج
 من نسل « يافث بن نوح » عليه السلام وهم والترك والصقالبة
 من نسله .

واعلم أنه قد وردت في أوصافهم وأزراقهم وأحوالهم أقوال
 كثيرة أعرضت عن ذكرها لعدم مطابقة بعضها لبعض ، ولأن الذي
 يهمنا خروجهم آخر الزمان كونه من أشرط الساعة الكبرى وليس
 أوصافهم الخ ثم اعلم أن بلادهم ليست معروفة بالضبط لأهل الأرض
 وأن وجودهم في طي علم الله تعالى ، وأما بالنسبة لقصة ذي
 القرنين فانها واضحة الا أن القرآن الكريم لم يحدد مكان السدين

(٣٠) الجماعة

(٣١) الفخذ من الناس دون القبيلة

اللذين بلغهما وأن مهمته كانت محصورة في سد مخرجهم عن أولئك الذين شكوا منهم ، وهذا المخرج قد يكون بعيدا عن مكانهم لانه — أي — ذو القرنين لم يشاهدهم اذ لو كانوا على مقربة منه لشاهدهم وربما وجد منهم مقاومة ويرد علم ذلك الى الله تعالى وعليه فانه من الممكن معرفة السد الذي بناه ذو القرنين أما رؤيتهم ومعرفة بلادهم على وجه التحديد فهو بعيد الاحتمال .

تنبيه : بعض الناس يتوهمون بأن الصينيين هم يأجوج ومأجوج لكثرتهم ومشابهتهم لهم في بعض أوصافهم الى جانبهم كذلك الترك وهذا التوهم باطل لا أساس له من الصحة لعدم وجود الأدلة على صحة ذلك لان الأدلة ذهبت الا انهم لا يستطيعون الخروج الى ماوراء حدودهم الا اذا جاء وعد الله تعالى — أي أمره — كما قال القران على لسان ذي القرنين « فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا » ويؤكد ذلك قوله تعالى في سورة الانبياء « حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون » فهم ممنوعون من الخروج حتى يأتي يوم خروجهم في زمن عيسى عليه السلام .

تساؤل : قد يقول قائل : لو كان يأجوج ومأجوج موجودين لاكتشفهم العلم الحديث لانه لم يبق هنالك شيء خاف ؟ والجواب على ذلك والله اعلم أن وجودهم يدخل تحت حكم الغيب الالهي كالجن والملائكة الذين هم موجودون ولا نعرف مكانهم وهم اكثر من يأجوج ومأجوج أضعافا مضاعفة والله على كل شيء قدير ثم اين يكون الليل عند مجيء الفهار والليل في نفس الوقت موجود ؟

العلامة الخامسة : خروج الدابة

قال تعالى « واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » (٣٢)

والمعنى اذا وجب الغضب عليهم وقيل : حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون وقيل : اذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر

وجب السخط عليهم وقال عبد الله بن مسعود : وقع القول عليهم
 يكون بموت العلماء وذهاب العلم ورفع القرآن يعني في آخر
 الزمان قال عبد الله يسري عليه ليلا فيصبحون منه قفرا وينسون
 « لا اله الا الله » ويقعون في قول الجاهلية وأشعارها وذلك حين
 يقع القول عليهم وجميع هذه الاقوال ترجع الى معنى واحد وهو
 الشر وشيوع الفساد وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله
 عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث اذا خرجن
 لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها
 خيرا : طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض » .

وقد اختلف في تعيين هذه الدابة وصفتها ومكان خروجها فقد
 ذكر أبو داود الطيالسي في مسنده عن حذيفة قال ذكر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الدابة : فقال « لها ثلاث خرجات من الدهر
 فتخرج في أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية — يعني مكة —
 ثم تكمن زمنا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى دون ذلك فيفشوا ذكرها
 في البادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بينما الناس في اعظم المساجد على الله حرمة ،
 وخيرها واکرمها على الله المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي ترغو
 بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفض الناس عنها
 شتى ومعا وثبتت عصابة من المؤمنين وعلموا أنهم لن يعجزوا الله
 قبل أن تهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدري وولت
 في الارض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى ان الرجل
 ليتعوذ منها في الصلاة فتأتيه من خلفه فتقول له يا فلان الان تصلي
 فتقبل عليه فتسمه في وجهه ثم تنطلق ويشترك الناس في الاموال
 ويصطلحون في الامصار يعرف المؤمن من الكافر حتى ان المؤمن
 يقول يا كافر اقض حتي »

وقوله تعالى « تكلمهم » — أي — ببطلان جميع الشرائع ما
 عدا شريعة الاسلام وفي قراءة « ابي » « تنبئهم » وقيل تكلمهم
 بما يسؤوهم وقيل تكلمهم بلسان ذلق فتقول بلسان يسمعه من
 قرب ومن بعد « ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون » — أي —

بخروجي لان خروجي من الايمان وتقول «الا لعنة الله على الظالمين»
 وقرأ جماعه منهم ابن عباس « تكلمهم » بفتح التاء وهو من الكلم
 — اي — الجرح قال عكرمة — أي — تسمهم وقال ابو الجوزاء
 سألت ابن عباس عن هذه الآية تكلمهم أو — أي — تكلمهم —
 فقال هي والله تكلمهم وتكلمهم تكلم المؤمن وتكلم الكافر والفاجر
 — أي تجرحه وقيل تكلمهم «تجرحهم» يذهب الى أنه تكثير من
 « تكلمهم » « أن الناس كانوا باياتنا لا يوقنون » بفتح الهمزة كما
 هو في المصحف وفي قراءة بكسرها قال بعض العلماء في كل من
 الفتح والكسر قولان والمعنى تخبرهم « ان الناس كانوا باياتنا
 لا يوقنون » — اي — لا يؤمنون بالقران ولا بمحمد صلى الله عليه
 وسلم وذلك حين لا يقبل الله من كافر ايمانا وعندها يتميز المؤمن
 من الكافر فيعرف المؤمن بسيما الايمان والكافر بسيما الكفر
 لانها تسم كل واحد بسيماه الكفر والايمان وأما أوصافها فقليل بأنها
 «فصيل ناقة صالح عليه السلام» واستدل من قال ذلك بقوله في
 الحديث الشريف «ترغو» حيث أن الرغاء من أوصاف الابل وقد
 قيل انه لما عقرت أمه هرب فانفتح له حجر فدخل فيه ثم انطبق عليه
 فهو فيه حتى يخرج باذن الله تعالى هذا قول .

والقول الثاني : فقد روى أنها ذات زغب — اي — مزغبة
 شعراء — اي — ذات شعر ولها قوائم يصل طولها الى ستين
 ذراعا وهو قول عبد الله بن عمر .

والقول الثالث : أنها على صورة الادميين وهي في السحاب
 وقوائمها في الارض .

والقول الرابع : أنها جمعت من خلق كل حيوان وجعلوا لكل
 جزء منها وصفا خاصا وذكروا : أن بين كل مفصل ومفصل اثني
 عشر ذراعا بذراع ادم عليه السلام وهذا الوصف قد لا ينطبق
 عليها لاحتمال أنها تكون على غيره كما هو مذكور في اقوال العلماء
 فانهم قد أطلقوا عليها أوصافا كثيرة والواجب على المؤمن الايمان
 بها ايمانا لامرية فيه دون التعرض الى معرفة أوصافها لان ذلك
 غير معروف لعدم وجود الأدلة أما ان صح القول بأنها « فصيل

ناقذة صالح » عليه السلام فوصف الفصيل معروف وأما ان كانت غيره فالاولى الكف عن البحث عن أوصافها وفي بعض الاخبار عن المهدي أنها ذات ريش ووبر .

وأما المكان الذي تخرج منه فمختلف فيه كذلك ففي الخبر « أنها تخرج من الصفا » وقيل انها تخرج من بين «الركن» حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد وعن قتادة انها تخرج في « تهامه » وروى أنها تخرج من مسجد الكوفة حيث فاز التنور بالماء في طوفان نوح عليه السلام وقيل تخرج من الطائف وقيل من صخرة من شعيب «أجياد» وقيل من بحر سدوم وقيل من صدع في الكعبة كجرى الفرس ثلاثة أيام لا يخرج ثلثها .

والمهم الايمان بخروجها ولا يضر عدم معرفة ما اختلف فيه .

العلامة السادسة : طلوع الشمس من مغربها

قال تعالى : « هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك او يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ، قل انتظروا انا منتظرون » (٣٣) والمراد من قوله تعالى « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا » أنهم يمهلون حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت فلا إيمان وهو خاص بالكفار وليس بالمؤمنين العصاة مثلا فانهم مؤمنون قبل طلوعها واحتمال قبول توبتهم اكد لان باب التوبة يفتح عن قبول الايمان من الكفار لا عن قبول توبة المؤمن الا ان اكتساب الخير بعد قبول التوبة غير محتمل اذ الامر يكون مقصورا على قبول التوبة من المؤمن العاصي دون كسب الخير بعد ذلك . وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا : طلوع الشمس من مغربها والدجال ، ودابة الارض » (٣٤) وعن صفوان

(٣٣) الانعام اية ١٥٨

(٣٤) رواه مسلم

بن عسال المرادي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ان بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة مسيرة سبعين سنة لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه » (٣٥)

وروى ابن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول « ايها الناس ان الرجم حق فلا تخذعن عنه وان اية ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجم وان ابا بكر قد رجم وانا قد رجمت بعدهما وسيكون قوم من هذه الامة يكذبون بالرجم ويكذبون بالدجال ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها ويكذبون بعذاب القبر ويكذبون بالشفاعة ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا » (٣٦) وعن ابي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتدرون اين تذهب هذه ؟ قلت لا : الله ورسوله أعلم ؟ قال : فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يقبل لها فيقول لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فعند ذلك يغلق باب التوبة » (٣٧)

واعلم ان الليلة التي تطلع في صبيحتها الشمس من المغرب تطول حتى تكون مقدار ثلاث ليال فيفزع الناس لذلك فيصبحون فاذا بها تطلع من المغرب فاذا راها الناس امنوا اجمعون وذلك حين « لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا » ويستثنى من ذلك المؤمنون بصورة عامة فان توبتهم مرجوة القبول لكونهم مؤمنين قبل طلوعها من مغربها .

العلامة السابعة : الدخان

وهو دخان يملأ الارض ويصيب الكافر والمؤمن . أما الكافر فيخرج من انفه وعينه واذنه ودبره ، وأما المؤمن فيصبيه كهيئة الزكام وهو ثابت بنص القران والسنة اما القران فقد قال الله تعالى « فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس

(٣٥) رواه الدار قطني والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح

(٣٦) امتحشوا اي احترقوا ذكره ابو عمر

(٣٧) رواه الشيخان وغيرهما

هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون انى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انسا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون « (٣٨)

وفي الحديث الشريف عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الساعة لا تكون حتى تكون عشر ايات ، خسف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف في جزيرة العرب والدخان والدجال ودابة الارض يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونار تخرج من قعر عدن ترحل الناس » — اي — الى أرض المحشر وفي رواية الثعلبي عن حذيفة قال : قلت يا رسول الله وما الدخان فقال هذه الآية « فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين » يملأ بين المشرق والمغرب الحديث ولا يجوز صرف ذلك الى ما حدث مع قريش بسبب القحط الذي أصابهم لما دعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله « اللهم اعني على قريش بسنين كسني يوسف عليه السلام » وكان الرجل منهم يرى ما بينه وبين السماء ما يشبه الدخان من شدة الجوع وذلك لان تلك الحادثة خاصة بقريش وأما الدخان المذكور في الآية الكريمة فانه هو المراد من كونه علامة من علامات الساعة الكبرى لان ظهوره مطابق لمعنى الآية الكريمة « يغشي الناس » — اي — جميعهم كما مر ولا يستثنى منهم احد الا انه يكون عذابا للكافرين ورحمة للمؤمنين كما اثرننا .

وفي الحديث الشريف عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال : اطلع علينا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر فقال : ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال : انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج وثلاث خسوفات خسف بالمغرب وخسف بالشرق وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم « (٣٩)

(٣٨) الدخان اية ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥

(٣٩) أخرجه مسلم

وذكروا أن هذا الدخان من اثار جهنم يوم القيامة — اي —
عند قيامها يصيب المؤمن كالزكمة وينفخ الكافر حتى يخرج من كل
مسمع منه ، اعاذنا الله منه .

تنبيه — ان ما ظهر من اثار اختراعات الانسان في هذا العصر
من قتابل مختلفة الانواع ونفاثات كذلك تبعث الدخان في جو السماء
الى غير ذلك مما هو معلوم فيما لو استعملت هذه الوسائل الكثيرة
في ان واحد لامتلات الدنيا فعلا من الدخان المضر المؤذي لما
يحتوى عليه من مواد مضرّة بالكائنات الحية على اختلاف انواعها
فانه لا يمكننا أن نطلق معنى الآية الكريمة عليه لانه يصيب المؤمن
والكافر باضرار على حد سواء ولانه يمكن التحرز منه بششتى
الوسائل والحيلولة دونه ودون اذاه اما الدخان المعداد من
علامات الساعة فهو ما تقدم ذكره وبما أنه يكون علامة من علامات
قيام الساعة فان هذا الدخان المصطنع علامة كذلك من العلامات
الصفري لقيام الساعة وهي الحرب العالمية المدمرة ولا يجوز
أن يقال : بأنه هو المراد من معنى الآية « (٤٠) »

العلامة التاسعة : نار تخرج من قعر عدن تسوق
الناس الى محشرهم

تقدم ذكرها في الحديث المروي عن حذيفة الشامل للعشر ايات
التي تكون قبل قيام الساعة حيث جاء فيه « ونار تخرج من قعر
عدن ترحل الناس » — اي — الى أرض المحشر .

وفي الحديث الشريف عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : « ستخرج نار من حضرموت قبل
يوم القيامة تحشر الناس ، قالوا يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال
عليكم بالشام » « (٤١) »

وهذه النار غير النار التي خرجت في الحجاز سنة أربع
 وخمسين وستمائة والتي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه

(٤٠) كتبه مؤلفه والله اعلم

(٤١) رواه أحمد

وسلم بقوله « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل » (٤٢) وقد خرجت فعلا في تلك السنة وشوهدت من مسافات بعيدة حتى أن الكاتب كتب على ضوءها من تيماء وهي على مسافة اربعمائة كيلو مترا من المدينة المنورة وكان خروجها من شرقي المدينة على مسافة نصف يوم من المدينة المنورة وقد انفجرت من الأرض وسال منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد وذكر أنه تقدمها صوت كالرعد البعيد تارة وتارة كالزلزلة وإقام الصوت على تلك الحالة يومين فلما كانت ليلة الأربعاء ثالث الشهر مستهل جمادي الآخرة تعقب الصوت الذي كان يسمع زلازل فلما كان يوم الجمعة خامس الشهر المذكور انبجست الحرة بنار عظيمة قدرها كمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي برأى العين من المدينة وقد سال منها واد مقداره أربعة فراسخ وعرضه أربعة أميال وعمقه قامه ونصف وهي تجري على وجه الأرض وتخرج منها أمهاد وجبال صفار وتسير على وجه الأرض وهو صخر يذوب حتى يكون مثل الاتك فاذا جمد صار أسود وقبـل الجمود لونه أحمر وقد ذكر أنها سبقتها زلزلة عظيمة اضطرب لها منبر المسجد واضطربت قناديل الحرم الشريف وتمت الزلزلة الى يوم الجمعة ضحى ولها دوي مثل دوي الرعد القاصف ثم طلعت يوم الجمعة في طريق الحرة في رأس أجيلين نار عظيمة مثل المدينة العظيمة وقد أشفق الناس منها والتجؤا الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظهروا الضراعة وتابوا الى الله تعالى توبة صادقة ولهذه النار أخبار عجيبة رهيبة تركنا ذكرها رومـا للاختصار وقد ذكر : أن الشمس والقمر وقت خروجها لم يطلعا الا كاسفين .

ومما يدل على أنها غير النار التي تخرج آخر الزمان انها لم تنسق الناس الى أي مكان ولم تقربهم ولم تؤذهم الا ما كان من الخوف والرعب والأشفاق منها ولا شك بأن خروجها من علامات الساعة الصغرى كما نطق بذلك الحديث الشريف .

وأما النار التي تخرج آخر الزمان فانها من ضمن الايات
العشر التي نحن بصدد الحديث عنها وانها كما ذكر : تخرج من
قعر عدن وليس من الحجاز وانها تسوق الناس الى ارض المحشر
وذلك بعد طلوع الشمس من مغربها .

العلامة العاشرة

وهي رفع القران والعلوم النافعة من الصدور والسطور
ويومئذ يغيب الايمان ويظهر الكفر ويعم الناس بسبب ذلك لما جاء
في الحديث الشريف الذي أخرجه ابن ماجة بسند قوي عن حذيفة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يدرس الاسلام كما
يدرس وشي الثوب حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا
صدقة ويسري على الكتاب في ليلة فلا تبقى في الارض منه اية »
اورده ابن حجر في فتح الباري وعندئذ لا يبقى الا شرار الخلق
الذين عليهم تقوم الساعة وبعد ذلك تأتي اخر علامة وهي :

هدم الكعبة زادها الله شرفا وتعظيما وصانها وحرسها ورد
عنها كيد أعدائه في كل زمان انه نعم المولى ونعم النصير . ولما
كانت الكعبة شرفها الله اول بيت وضع للناس ولما لها من مكانة
سامية عليا في التاريخ العالمي على مر العصور من لدن ادم عليه
السلام الى يومنا هذا الى اخر تعمير البشر في هذه الارض احببت
أن اقف عند ذكر هذا البيت العظيم لاقدم للاخوة القراء بل وللعالم
أجمع بعض ما للكعبة من خصائص ومزايا كريمة وحرمة ومكانة
وقدر ورفعة وواجب لان ذلك مما يبهج النفس ويكشف عنها ما
يغشاها من هموم بسبب ما تعرضت له في بعض الادوار التاريخية
كما سمعنا فاقول وبالله التوفيق :

الباب السابع

في ذكر الكعبة وما لها من خصائص ومزايا

اعلم وفقني الله واياك لطاعته ان القران الكريم ذكر الكعبة المشرفة في كثير من الايات الكريمة ويأتي الحديث عنها في سياق الاجلال والتكريم وعلو القدر ومنتهى التشريف .. فهو يقدم تاريخ وضعها وتأسيسها وتكوينها على جميع الاماكن العمرانية فيقول جل جلاله « ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه ايات بينات » (٤٣) .

فأنت ترى ان الحق جل وعلا أعطاهما مزايا وخصائص لا تنطبق على غيرها أبداً منها أول بيت وضع للناس وذلك ليحج اليه من جميع أنحاء العالم السفلي وأما العالم العلوي فقد سبق العالم السفلي في حجه بألفي عام كما ورد في الحديث الشريف ومنها أنه سماها «مكة» لأنها محل ازدحام الناس في الحج والعمرة ومحل العبادة وأداء النسك الخاص بهذه العبادة ولأن بكة مشتق من البك وهو الازدحام يقال تباك القوم — أي — ازدحموا وقيل سميت بذلك لأنها تدق أعناق الظلمة والملحدين والجبابرة إذا الحدوا فيها بظلم كما قال تعالى « ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم » «ومكة» اسم لسائر البلد الحرام وسميت «مكة» لأنها تمك المخ من العظم مما ينال قاصدها من المشقة بسبب المشي إليها وهو مأخوذ من قولهم « مككت العظم » — أي — إذا أخرجت ما فيه ويقال مك الفصيل ضرع أمه وامتكه إذا امتص كل ما فيه من اللبن وقيل سميت بذلك لأنها تمك من ظلم فيها — أي — تهلكه وتنقصه وكذلك من قصدتها بسوء أو بيت لها نية خبيثة والعياذ بالله . وأما تاريخ وضعه للناس فقد ذهبت الاخبار الى أن الله تعالى أول ما خلق البيت العتيق بعد العرش وقد كان العرش على الماء كما جاء في سورة هود فعن عبد الله بن بشر الزهري

يرفع الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « وجد في البيت ثلاث اصفح » .

الاول : اني انا الله ذو بكة صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املك خفاء وباركت لاهلها في اللحم واللبن .

الثاني : اني انا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها يتته .

الثالث : اني انا الله ذو بكة خلقت الخير والشر وقدرته فطوبى لمن اجريت الخير على يديه ، وويل لمن اجريت الشر على يديه .
فانظر قوله عليه الصلاة والسلام « صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر » وفي ذلك دليل على قدم وضعه كما اثرننا .

وقد وردت كذلك اقوال للعلماء والمفسرين مما يقوى هذا الخبر وان كان ذلك محلا للخلاف ، والاختلاف في ذلك لا يعني نفي قدم وضعه .

وقال الربيع انبأنا الشافعي رحمه الله قال انبأنا ابو سفيان عن ابي لبيد عن محمد بن كعب القرطبي او غيره قال : حج ادم فلقيته الملائكة فقالوا « برنسك يا ادم لقد حججنا قبلك بألفي عام » يعني المسجد الحرام وروي عن عروة بن الزبير انه قال « ما من نبي الا وقد حج البيت الحرام الا ما كان من هود وصالح عليهما السلام والصحيح انهما ممن حج البيت كغيرهما من الانبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام .

وذكر القرطبي في تفسيره نقلا عن جعفر بن محمد قال : سئل ابي وكنت حاضرا عن بدء خلق البيت فقال « ان الله عز وجل لما قال : للملائكة « اني جاعل في الارض خليفة » قالت الملائكة « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك » غضب الله تعالى فعادوا بعرشه وطافوا بسبعة اطواف يسترضون ربهم حتى رضي عنهم فقال لهم « ابنوا لي بيتا في الارض يتووذ به من سخطت عليه من بني ادم ويطوف

حولته كما طفتهم حول عرشني فأرضى عنه كما رضيت عنكم ، فبنوا هذا البيت » — اي — البيت العتيق .

وروى ابن سابط عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « دحيت الأرض من مكة ولذلك سميت أم القرى وهو في غاية الوضوح لان هذا الاسم يطلق على الاصل كما هو معلوم .

ومنها : قوله تعالى « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا » والمعنى جعلناه مرجعا : وهو مأخوذ من ثاب يثوب مثابا ومثابة وثوبا وتوبانا فالمثابة مصدر وصف به ويراد به الموضع الذي يثاب اليه — اي — يرجع اليه وقرا «الاعمش» «مثابات» على الجمع ويحتمل أنه من «الثواب» — أي — يثابون هناك فان العامل كلما طلب الاجر رجع الى المكان الذي يناله منه كيف والصلاة فيه بمائة ألف وهو لذلك مهوى أفئدة المؤمنين في جميع بقاع الأرض وكل قلب لا يهوى زيارته ومشاهدته والعبادة فيه واداء النسك وغيره من جميع أنواع العبادات فهو ليس بقلب مؤمن كامل الايمان . واما قوله تعالى «وامنا» هو مثل قوله تعالى «ومن دخله كان امنا» وبذلك استدل ابو حنيفة وجماعة من الفقهاء الامصار على ترك اقامة الحد فيه على المحصن وغيره اذا لجأ اليه وعضد ذلك بقوله تعالى « ومن دخله كان امنا » والصحيح اقامة الحدود فيه وأن منع اقامة الحدود فيه منسوخ لان الاتفاق حاصل على أنه « لا يقتل داخل البيت ويقتل خارجه » وهذا مما لا خلاف فيه لان الخلاف حول مسئلة « يقتل في الحرم أم لا » ؟ لان الحرم لا يقع اسم البيت عليه كما هو واضح وقد أجمعوا على أنه من قتل في الحرم يقتل فيه ، ومن أتى حدا أقيد منه فيه وان حارب فيه حارب وقتل مكانه وأما رأي أبي حنيفة : فمن لجأ اليه لقصد القتال حوصر فيه وضيق عليه حتى يستسلم أو يهلك مكانه فهو يقتل بشدة الحصار حتى يموت أو يخرج مستسلما وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين بقتل النفر الذين ارتدوا وكفروا بعد اسلامهم وتجاهروا بهجاء الرسول والاسلام اذ قال « اقتلوهم ولو وجدتموهم معلقين باستار الكعبة » وذلك مما يرجح القول

الاول القائل بخلاف ما قال أبو حنيفة وهو الاصح لان اقامة الحدود خارجه وفي اي مكان يعتبر نصرا للحق ودحضا للباطل ورفعنا لعلم «الاسلام» وكبتنا لاعدائه ولان حرمة حدود الله كحرمة غيرها من الحرم .

ومنها : قوله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شئ عليم » (٤٤) . «جعل» بمعنى خلق مما يدل على عظيم فضلها ورفيع قدرها وعظم شرفها وكأنها وجنة عدن في هذا «الجعل» سواء وقد سميت الكعبة لتوثها وبروزها والمراد من ذلك ظهورها في الارض — اي ظهور شرفها وقدرها ومكانتها ثم انظر كيف سماها الله تعالى في هذه الاية باسمين كريمين « الكعبة البيت الحرام » والحرام نعت وليس مضافا اذ لو كان مضافا لما تبع ما قبله في نصبه وقد جاءت معرفة بأل التعريف لكون قدرها وشرفها ومكانتها معروفا عند الخلائق ولكون هذه المعرفة ظاهرة كظهور الشمس والقمر ومعنى قوله تعالى «قياما للناس» — اي — صلاحا ومعاشا لامن الناس وعلى هذا يكون «قياما» بمعنى يقومون بها فانظر كيف قال بها ولم يقل فيها ليدل ذلك على أنه يقوي ايمان الناس زيارتها والتعبد فيها فتزداد قوتهم بذلك فيستطيعون القيام بهام الامور الدينية والدنيوية والاخرية وقيل «قياما» — اي — يقومون بشرائعها والمراد الشرائع السماوية الى أن جاءت الشريعة الاسلامية الناسخة لما قبلها من الشرائع حيث جاء ظهور صاحب الشريعة الاسلامية من مكة المكرمة وبدأ القيام بشريعة الاسلام من مكة كما هو معلوم .

ثم انظر كيف عطف المولى عز وجل «الشهر الحرام» على «الكعبة البيت الحرام» فقال سبحانه «والشهر الحرام» وذلك لبيان اتحاد الحكم في الحرمة العظيمة وانها بمنزلة واحدة والمراد من قوله تعالى «والشهر الحرام» الاشهر الثلاثة وهي ذو القعدة

ذو الحجة والمحرم وينضم إليها في هذه الحرمة شهر رجب لقوله تعالى « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم » .
 الآية وهذا مما يزيدك ايضاحا على قدم وضع البيت الحرام حيث جاء ذكره قبل ذكر الاشهر الاثني عشر وكما هو واضح من قوله تعالى « يوم خلق السموات والارض » ان الزمن من ذلك الحين نشأ عن حركات الفلك والاشارة واضحة في قوله تعالى « والشهر الحرام » حيث جاء معطوفا على ذكر الكعبة مع ان الفعل واحد وهو «جعل» وهي اشارة بديعة في هذا المعنى .

وكان العرب قبل الاسلام لا يروعون سربا — أي — نفسا في هذه الاشهر الحرم ولا يطلبون فيها دما ولا يتوقعون منها ثارا حتى كان الرجل يلقي قاتل ابيه أو أخيه أو ما يخصه فلا يؤذيه واقتطعوا فيها ثلث الزمان ووصلوا منها ثلاثة متوالية فسحة وراحة ومجالا للامن والتثقل وغير ذلك وجعلوا منها واحدا في نصف العام دركا للاحترام ووصلا لمقتضى الالتزام وهو شهر «رجب الاصم» وانما سمي بذلك لانه كان لا يسمع فيه صوت الحديد ويسمى «منصل الاسنة» لانهم كانوا ينزعون فيه الاسنة من الرماح وهو شهر قريش فسماه النبي صلى الله عليه وسلم «شهر الله» — أي — «شهر آل الله» وكان يقال لاهل الحرم «آل الله» ثم يسر لهم الالهام وشرع لهم على السنة الرسل الكرام «الهدى والقلائد» وهي خاصة بالانعام التي كانوا يسوقونها الى البيت الحرام ليعرفها الناس انها له فلا تمد لها يد فقد وصل الامر الى ان أحدهم كان يقلد نفسه كذلك ليعرف وبالله التوفيق .

ومنها : أن الله تعالى جعلها قبلة للمسلمين في صلاتهم اينما كانوا وحيثما وجدوا فلا تصلح صلاة الا بالتوجه اليها يقينا فسي القرب وظنا في البعد سواء كانت الصلاة فرضا أو نفلا حضرا أو سفرا الا في الاحوال النادرة التي يتعذر فيها استقبال القبلة والسير في طريق مخوف في السفر ونحو ذلك كما هو متصل في كتب الفقه .

وحادثة تحويل القبلة الى الكعبة بعد توجه المسلمين الى بيت المقدس في الصلاة يؤمهم النبي صلى الله عليه وسلم مدة سبعة عشر شهرا حادثة ذات شأن عظيم يتناسب مع قدر شأن المسجدين الكريمين ، يتجلى في صورتها معنى الهدى الشامل الكامل العام القديم والحديث وينفي عن الاوهام معاني العنصرية والاستئثار بالفضائل الدينية واثبات المبدأ القائم على أساس التعاليم السماوية ليفهم خصوم الاسلام أن الاسلام برىء من كل شبهة تدور حوله أبدا وأنه دين الزمان والمكان الشامل الكامل الذي يعطي كل ذي حق حقه دون غمط أو اجحاف والله سبحانه وتعالى قادر على أن يأمر النبي صلى الله عليه وسلم لكونه أفضل الانبياء ببناء بيت في أي مكان شاء ويتوجه بصلاته اليه ويجعله قبلة للمسلمين بدلا من البيت الحرام لكن الامر كما هو واضح ليكون ذلك حجة على أصحاب العقائد الفاسدة والمذاهب الباطلة وليعلم أهل الاهواء أن الاسلام انما جاء بكل ما في الوحدة الدينية من توافق واتحاد وائتلاف وأن الدين كله لله وحده وأن الله تعالى انما خلق الخلق ليتفقوا على مبدأ التوحيد لا لان يختلفوا والله أعلم حيث يجعل رسالته .

واعلم ان تحويل القبلة من الاحداث الكبيرة التي برهنت تماما على اظهار عناد المتربصين بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم الجديدة والتي أحدثت تغييرا في المفاهيم والعقائد والمنهج والسلوك والاخلاق ولقد كانت الاغلبية الكبيرة قبل انتشار الاسلام وبعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم مناوئة للاسلام تربص به الدوائر وتكيد له في الخفاء وتحرض عليه في السر والعلانية وتستخدم في ذلك شتى الاساليب بين الفينة والفينة وتحاول أن تجد الثغرة الملائمة للتنفوذ منها الى افكار المسلمين غير أنها باءت بالفشل وذهبت محاولاتها هباء منثورا ولم يكتب لها أي نجاح في شيء أبدا لان القرآن الكريم لهم بالمرصاد حيث ظل يكشف عن نواياهم وعن ما كانت تنطوي عليه نفوسهم الخبيثة من مكر ونفاق وخداع وتضليل وان قوما مثل أولئك القوم غلبت عليهم اثره الجاهلية العمياء والعنصرية الشلاء حيث انطبعت نفوسهم على

حب الجهل والاهواء لا جرم انهم سيقفون من الدعوة المحمدية الجديدة موقف العداء لكن عداؤهم لم يزدهم الا ذلة وهوانا وخسرانا وهم مع ذلك لكل ما جاء به الاسلام كارهون « والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون » وتوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين الى بيت المقدس كان اجتهادا منه (٤٥) صلى الله عليه وسلم واجتهاده في مثل هذه الحالة تشريع يجب الاخذ به ومع ذلك كان عليه الصلاة والسلام يقلب وجهه الشريف في السماء وكأنه ينتظر أمرا جديدا حتى جاء الامر الرباني بالتوجه الى الكعبة في قوله تعالى « فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » واذا كان الامر يتعلق بارتضاء الله تعالى لرسوله والمؤمنين الى يوم القيامة فما الذي دعا أولئك المتجنين على الاسلام أن يختلقوا الاتاويل وأن يفتروا الاكاذيب ظلما وبهتاناً وهم مدعوون قبل ذلك للاستجابة الى ما جاء به صاحب الدعوة الاسلامية ؟ ولكنهم لم يستجيبوا كما استجاب أولوا الالباب والله سبحانه وتعالى حكم عدل فقد ودفعهم بأنهم سفهاء من حثالة البشر الذين لا يفقهون عن الحق شيئا قال تعالى « سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم » وقد اراد الله ان يهدي أمة محمد صلى الله عليه وسلم الى الصراط المستقيم حين اختار لهم الكعبة قبلة لهم في صلاتهم ولم يجعل قبلتهم الى المشرق ولا الى المغرب . كأهل الكتاب بل الى منتصف الارض وذلك مما يمكن التوجه الى هذه القبلة من اقاصي المعمورة وادانيها على حد سواء وليظهر المسلمون في هذا التوجه كشبه سور دائر حول الكعبة ليس فيه ثلثة ولا ثغرة ولا يضعف على مر الزمان ما دام وجود الامة الاسلامية قائما على حقيقته والى يوم القيامة ولان البيت المعمور محاذيا لهذه القبلة حيث تعمره الملائكة في كل يوم كذلك الكعبة يعمرها

(٤٥) اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم . لا يخالف وحى السماء . ولذلك اشار القرآن الكريم الى صحته بقوله « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الاية

المسلمون في الارض في كل يوم وليلة فما دام البيت المعمور معمورا بالملائكة كذلك الكعبة المشرفة ستظل دائما وابدا معمورة بالمسلمين حتى قيام الساعة وقد سمي الله سبحانه وتعالى هذا التوجه صراط مستقيما وهدى الى هذا الصراط خير امة اخرجت للناس فهو أعلم بهذا الاختيار فليكن السفهاء اذن عن سفاهتهم ولينتهوا عن غيهم وجهالتهم وتماديهم وما هم فيه من غباء وغرور « وماذا عليهم لو امنوا بالله ورسوله واقاموا الصلاة » الى اخر الاية اليس الحق أحق أن يتبع والحق اذا نطق فعلى الباطل أن يسكت ويذعن وينتهي والله تعالى له الامر من قبل ومن بعد وهو بكل شيء عليم « لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا » ثم انظر الى مدى قوة ارتباط الصلة بين الله ورسوله والمؤمنين انها تزداد من قبل المؤمنين توثيقا ومتانة وقوة في الارتباط وثباتا على الحق واستبشارا بنجاح العاقبة والفوز العظيم .

لما حولت القبلة خشى المؤمنون على ثواب عبادتهم قرابة العام والنصف الا ان العليم بما في الضمائر وما تنطوي عليه السرائر أخبرهم وطمأنهم وبشرهم بأنه ضامن أبدا لثوابهم فقال تعالى « وما كان الله ليضيع ايمانكم » — أي — صلاتكم وانظر كيف أن الله سبحانه سمي الصلاة ايمانا لان ذلك ادعى للطائفة والارتياح حيث أن الصلاة في ظاهرها قد يعلق بها شيء من الغبار وان كان الحق جل وعلا جعلها صلة بين العباد وربهم ولكن هذه الصلة لا يضمن لها القبول والبقاء الا اذا كانت وثيقة العرى بالايمان القوي الصحيح وفي ذلك معنى الشهادة من الله تعالى لصحة ايمانهم وصدقه وثبوتهم ورسوخه وشموخه مع الدهر على الاساس القوي الثابت .

وفي قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » اخبر تعالى عن نفسه اذ جعل امة محمد صلى الله عليه وسلم «وسطا» ووسط الشيء خياره والمعنى جعلناكم دون الانبياء منزلة وفوق الامم

مرتبة ، وجعلنا قبلكم وسط الارض وفي منتصف القياسات كلها علويها وسفليها عمقها وسطحها ومن كل الجهات وهذا ما يضاف الى ما جاء في الحديث الشريف فقد روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » قال « عدلا » — أي — عدولا ولهذا المعنى ارتباط وثيق بالعقيدة والتشريع وذلك لما كان الوسط بين المرتفع والسحيق وبين الحضيض المنحط حفظ الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم حيث جعلها تتحلى بكمارم الاخلاق فهي لا تطلب الارتفاع تكبرا ولا ترضى بأن تهبط عن مستوى كرامتها ضعفا وتحدرا وكذلك فهي في عقيدتها وسط بين الغلو والتفريط ووسط في التشريع بين التشديد والتقصير وبذلك استحققت أن تكون خير أمة أخرجت للناس وفي التنزيل « قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون » — أي — قال خيارهم ولما ثبتت لها هذه الشهادة أقيمت يوم القيامة في مقام الشاهد العدل الصادق الأمين وذلك على جميع الناس من أولهم الى آخرهم كما قال تعالى « لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » ولولا هذا الاختيار في هذا الجعل الالهي لاصاب أمة محمد صلى الله عليه وسلم ما أصاب الأمم السابقة من انحراف وعناد وتغيير وتبديل وعقاب فلله الحمد والمنة على حسن لطفه ودوام فضله وعطفه وفي الحديث الشريف « خير الامور أوسطها » وعن علي كرم الله وجهه قال « عليكم بالنمط الاوسط فاليه ينزل العالي واليه يرتفع النازل » .

وفي قوله تعالى : « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله » ...

يتجلى لك من خلال معنى الآية الكريمة أن المسجد الأقصى قبلة المسلمين الاولى لقوله تعالى : « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها » وبذلك تعلم أن توجه الرسول صلى الله عليه وسلم الى المسجد الأقصى كان بأمر الله تعالى الا انه لم يكن معلوما بوحى الا

بعد أن نزل الوحي في ذلك ولان في ذلك قبلة مبدئية موقته الى أن يجيء وقت تحويل القبلة الى المسجد الحرام ولان الرسول صلى الله عليه وسلم كان كأنه ينتظر الامر الجديد في التحويل ولذلك فقد اخبر القران عنه بقوله « قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام » الآية وكان التوجه الى المسجد الاقصى محك اختبار وفي الوقت الذي كان المسلمون يعيشون فيه بين عناصر دينية يود أهل تلك العناصر أن يميل المسلمون الى ناحية كل منهم ميلا عظيما الا ان الله افهمهم بأنهم لسوا على شيء لان كل طائفة منهم تهدف الى تمزيق البشر وطمس معالم الشرائع فجاء تحويل القبلة يقول لهم هذا هو الصراط المستقيم الصالح لجميع بني الانسان الذي من سار فيه فقد اهتدى ومن تجنبه فقد ضل وغوى لانه جاء بمعنى احياء معالم الشرائع في نفوس الناس أجمعين فان كنتم تزعمون أنكم بدون تحريف ولا تبديل « فاتبعوه لعلكم تهتدون » والا ، فسوف تعلمون لمن تكون العاقبة .

وفي قوله تعالى : « الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » « لنعلم » بمعنى « لنرى » والعرب تضع العلم مكان الرؤيا والله تعالى عالم بالامور قبل وقوعها فما معنى هذا التعليل والجواب وهو الاصح لان في ذلك اظهارا لقدرة المؤمنين وقوة ثباتهم وسلامة مقصدهم وتخليصهم من اراء وافكار المفرضين من أهل الاهواء ومدى قوة ارتباطهم باتباعهم لنبيهم عليه الصلاة والسلام في عظام الامور وتبصرهم بمعاني الرسالة التي جائتهم وأهدافها الصحيحة السليمة النقية وفي ذلك يكون هذا التعليل بمثابة اعلام الناس بمستوى المؤمنين الرفيع وليعلم الناس كذلك أن الله تعالى يعلم تفاصيل الامور قبل وقوعها وفي ذلك أيضا اظهار لحال المناوئين للدعوة الاسلامية والتنبيه على ما في نفوسهم من شك ونفاق وريب وعلى ما هم من أهواء وما فيه من حب لتعنصرهم الشائن وذلك مما يستفيد منه المسلمون في مواقعهم أمام من يناوئهم ويعاديهم قال تعالى « أفمن يهدي الى الحق أحق أن يتبع

أمن لا يهدي الا أن يهدي» (٤٧)

وليتميز المؤمن من غيره وهو المطلوب من الاختبار والامتحان لما ذكر من أنه ارتد بعض الناس لذلك وقد جعل الله ذلك حدا فاصلا بين من يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم وبين من ينقلب على عقبيه لانها كبيرة الا على المهتدين ولاته لا بد من وضع هذا الحد لتثقية صف المسلمين ممن لا خير فيهم . وفي الايات الكريمة التي نزلت في شأن تحويل القبلة أمور هامة كبيرة ينبغي التنبيه لها فمنها أنها بينت السفهاء من الناس وأن الله تعالى جعل الامة الاسلامية الامة الوسطى وأنهم سيكونون شهداء على الناس يوم القيامة وأن الرسول هو الشهيد عليهم وأنها ميزت المؤمن من غيره وأنها الحد الفاصل بين المؤمنين ومناوئهم وأن الله تعالى حفظ للمؤمنين ايمانهم وأنه بالناس رؤوف رحيم وبينت ما كان ينتظره الرسول صلى الله عليه وسلم من تحويل القبلة وأن الذين أوتوا الكتاب يعلمون أنه الحق من ربهم وأنهم لن يتبعوا قبلة محمد صلى الله عليه وسلم ولو جاءهم بكل اية وأنه كذلك لن يتبع قبلتهم وأن بعضهم ليس بتابع قبلة بعض وأنهم أهل أهواء وأن أتباع أهوائهم ظلم والعياذ بالله لانهم ظالمون وأنهم يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم وأنهم يكتمون الحق وهم يعلمون وأن متابعة الحق لا يجوز أن يتخللها افتراء وأن لكل وجهة هو موليها وأنها دعوة الى الاستباق الى الخيرات وأن الله تعالى سوف يأتي بكم جميعا ويحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون. وأنه على كل شيء قدير وأنها كررت الحث على التوجه شطر المسجد الحرام ثلاث مرات وعللت ذلك بقوله «لئلا يكون للناس عليكم حجة» . وأن المؤمنين لا يجوز لهم أن يخشوا الظالمين وأن الخشية يجب أن تكون من الله وأن نعمته الله تعالى سوف يتمها الله على المؤمنين أبدا وأن هدايتهم مؤكدة وأنه امتن عليهم بهذا الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم

(٤٧) يونس اية ٣٥ ، «يهدي» اصل هذه الكلمة «يهدي» قلبت التاء دالا لتدغم فصارت «يهدي» ثم سكنت لذلك فنقلت حركتها وهي الفتحة الى الهاء قبلها فصارت «يهدي» كما في المصحف .

التسليم حيث أرسله اليهم منهم « يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون » إذن فما عليكم الا
أن تذكروني لذكركم وتشكروا نعمتي عليكم لاتهم عليكم « اه .

روى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « البيت قبلة لاهل المسجد
والمسجد قبلة لاهل الحرم والحرم قبلة لاهل الارض في مشارق
الارض ومغاربها من أمتي » يعني الذين يعيشون على المعمورة
كلها في كل زمان ومكان بدون استثناء فاستقبله والتوجه اليه
شرط من شروط وجوب صحة الصلاة لكن العلماء فرقوا بين القريب
منه والبعيد فالقريب كما قالوا يجب أن يستقبل البيت بعينه مع
اليقين كأنه ينظر اليه وأما من كان بعيدا عنه فلا يتعين عليه
استقبال البيت بالذات انما يتعين عليه استقبال جهته بالذات
بعد بذل الجهد الموصل الى اليقين بأن استقباله صحيح . . والبعيد
عنه اما أن يكون في مسجد البلد الذي هو فيه واما أن يكون
بعيدا عن المسجد فان كان في المسجد فجهة القبلة معروفة وهي
صحيحة لان المحراب موضوع وفق قواعد علمية تحدد جهة القبلة
بالضبط في تعيين البيت بدون ميل .

وأما البعيد عن المسجد أو المسافر فعليه معرفة شطره بكل
جهد مستطاع وبالوسائل الكونية كالشمس والنجوم في الليل
وللكعبة في النجوم علامات تحدد مكانها — أو جهتها .

وخلاصة القول « أن استقبال الكعبة يجب أن يكون يقينا في
القرب وظنا في البعد وهناك أحكام شرعية تتعلق بأحوال الناس
فارجع اليها في كتب الفقه تجدها شافية وكافية » .

وقوله تعالى « الحق من ربك فلا تكونن من الممترين » يعني
التوجه الى البيت في الصلاة واستقباله هو الحق من ربك يا
محمد فاستقبلها بيقين أنت وجميع المسلمين ولذلك فقد أجمعوا
على وجوب استقبالها كما ذكر .

ومنها : أن الله تعالى حفظ المسجد الحرام ممن يريد

بسوء ولو كان يملك الدنيا بأسرها ويسيطر على جميع قوتها فمنهم به بسوء أتاه الله من حيث لا يحتسب وجعله عبرة للعالمين وأكبر شاهد على ذلك حادثة أصحاب الفيل فان ذلك الجبار المفلح ما كان ليعلم أنه سيقابل بجيش من السماء مزود بالسلاح الرباني الفتاك الذي لا ينجو منه هارب ولا يستطيع أحد أن يقابله بقوة لانها — أي — «الطير الابابيل» قاذفات ليست من صنع البشر بل هي من صنع رب البشر الذي هو بالمرصاد تلك القاذفات التي ما كلفت الخزينة الربانية نفيرا ولا قطميرا وكما قطعت دابر أولئك الظالمين ولم تبق منهم أحد فكذا ذلك فان كل من يريد المسجد الحرام بسوء يقطع دابره وتلك سنة الله التي لا نجد لها تبديلا ولا تحويلا وقد جاء عن سيد الصادقين صلوات الله وسلامه عليه ما معناه « ان جيشا يغزو الكعبة فاذا كانوا ببيداء من الارض خسف بأولهم واخرهم فلم ينج منهم أحد فله الحمد والمنة على حفظه لحرماته وغيrote عليها .

ومنها : أن الله تعالى جعل حج البيت ركنا من أركان الاسلام الخمس فمن تركه مع الاستطاعة تعرض لسوء العقوبة والعياذ بالله كما قال الله تعالى « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين » .. وكم في حجه من معان شاملة لجميع معاني تعاليم الاسلام الروحانية منها والبدنية والخلقية والتشريعية وغير ذلك مما هو مرتبط بالازل والابد وظواهر الامور وبواطنها وكبرها وصغيرها مما يطول شرحه نسأله تعالى أن يعيننا على بيان ذلك .

ومنها : أن الله تعالى شرفه ببناء الملائكة له وحجهم له وطوافهم به وحفظ الله له الى يوم القيامة كما يحجون البيت المعمور المحاذي له وكما يطوفون بالعرش وتشريفه له بأن جعله من بيوت الجنة حيث أنزله مع ادم عليه السلام لما هبط الى الارض وهذا القول موثق على التوفيق بينه وبين الاقوال التي تقرّر بأن الملائكة هم الذين بنوه قبل ادم وحجوا له قبله بالفي عام ومع هذا التشريف تشريفه اياه بالانبياء عليهم السلام فانه ما من

نبي الا وحج وتشرف به حتى جاء خليل الله عليه الصلاة والسلام فزاده الله به شرفا وتعظيما وهكذا حتى جاء سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين فيتم له الشرف الاكبر والمقام الانفخم بما ناله بسبب بعثة النبي غيه من حفاوة وتشريف وتكريم وحادثة الاسراء والمعراج منه خاتمة المطاف ثم تطهيره من الاوثان واثار الشرك نهائيا بفتح مكة المكرمة وحتى يوم القيامة .

ومنها : أن الله تعالى كتب له البقاء والدوام ما دامت الدنيا ووعده بأن يحجه في كل عام ستون الفا فما زاد على ذلك فهو زيادة في التكريم وما نقص على ذلك فيتمه الله من الملائكة الكرام فهو على مثل هذه الحالة حتى يرث الله الارض ومن عليها فله الحمد على فضله وعظيم منته .

ومنها : أن الله تعالى جعله عنوان الامن لاهل الارض جميعا ما دام موجودا على ما هو عليه فالامن لاهل الارض حاصل على الدوام ان شاء الله ولا علاقة له فيما يدور بين الناس من حروب وغير ذلك من الاضرار التي تصيبهم بسبب ظلم بعضهم بعضا أما أعمال الناس في هذا العصر فهي تحمل في ملامحها بوادر لا تدعو الى الاطمئنان فاللهم سلم سلم .

ومنها : أن الله تعالى حرم على من فيه أن يتعرض لانتقاص أي شيء فيه الا ما كان داخلا تحت حكم التشريع الاسلامي كالشرب من زمزم والانتفاع بالاذخر وغير ذلك من الصيد المباح لغير الحرم في الحج وقتل الفواسق الخمسة التي نص عليها الحديث الشريف .

ومنها : أن الطير لا تعلوه بالطيران واذا هجم مفترس من الطيور على فريسته منها والتجأت الى الحرم فانه يتركها ولا يلاحقها فيه .

ومنها : أن الله تعالى شرفه باجداد النبي صلى الله عليه وسلم كما شرفهم به اذ انهم « خلاصة العرب حيث استخلصهم منهم حتى بني هاشم حيث استخلصهم من قريش ثم استخلص من

بني هاشم « سيد الخلق على الاطلاق محمدا صلى الله عليه وسلم » وقصة زواج والد رسول الله مشهورة وقصة افتدائه بمائة من الابل كذلك وقصة حفر زمزم واستخراجها وما فيها على يد جد الرسول صلى الله عليه وسلم وتخلي قريش عن زمزم بعد محاولة طويلة وشاقة بانفراد عبد المطلب بهذا الشرف الكبير ثم قام من بعده ابنه الحارث ثم ولده عبد الله ثم علي ثم عبد الله بن عباس ثم داود بن علي ثم سليمان بن علي ثم عيسى بن علي ثم لما جاء المنصور استناب عليها مولاه ابا رزين وهكذا ظلت تتنوابها الشرفاء كابر عن كابر حتى انتهت الى ال سعود والى يومنا هذا والى الابد .

وقصة حفر زمزم مشهورة اختصرتها موافقة لمطلوبات هذا المختصر وهي بتمامها مبسوبة في كتب التاريخ .

ومنها : ان الحسنات تتضاعف فيه الى مائة الف فالصلاة فيه بمائة الف صلاة وكذلك الصدقة والصيام وسائر الحسنات كما جاء في الحديث الشريف كما رواه جماعة من أهل الحديث عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة في المسجد الحرام مائة الف صلاة وصلاة في مسجدي الف صلاة وصلاة في بيت المقدس خمسمائة صلاة » (٤٨)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة في مسجدي هذا كالف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام »

وفي الحديث الصحيح عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة في مسجدي افضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام افضل من ألف الف فيما سواه » (٤٩)

اتضح لك من هذه النصوص انه لا فرق بين الفرائض والنوافل

(٤٨) حديث حسن

(٤٩) سنده جيد كما قاله الزين العراقي

في هذه المضاعفة واعلم أن مضاعفة الثواب في المسجد الحرام ترجع الى عظيم حرمة الزمان والمكان وان كان أشرف الاماكن في الارض على الاطلاق مكان قبر الرسول صلى الله عليه وسلم الا أن ذلك بسبب وجود جسده الشريف فيه مع أن العبادة في حدود القبور لا تجوز وانما المطلوب الزيارة التي تتفق مع تعاليم الدين الحنيف كما جاء عنه عليه الصلاة والسلام في تعليمه الناس اداب زيارة قبره الشريف كما لو زاره الانسان قبل وفاته قد حث صلى الله عليه وسلم على زيارة المساجد الثلاثة بقوله « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد » وهي :

١ - المسجد الحرام

٢ - مسجد رسول الله

٣ - المسجد الأقصى

ومنها : أن الارض دحيت من تحت الكعبة ولذلك سميت «أم القرى» - أي - أصلها فهي على هذا الاعتبار المركز الاساسي للارض كلها ولذلك جاءت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم شاملة كل من في الارض من جن وانس وبحكم هذا الشمول الاصلي بنوعية سميت مكة «أم القرى» ويقوي هذا القول ما تبعه من أخبار في نفس الآية وذلك قوله « وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير » . الانذار غير مقتصر على ما حول «أم القرى» بل هو شامل لكل قرية في الارض لحكم شمول الامر بالانذار وبذلك فمكة المكرمة « أم القرى » جميعها في الارض كلها .

ثم ان منطلق الانذار كان من مكة « أم القرى » وليس من غيرها فهي نقطة الانطلاق بالنسبة للتبليغ وقد بلغ الانذار فعلا جميع اجزاء المعمورة كما قال تعالى : « قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى الي هذا القرآن لينذركم به ومن بلغ ءانكم لتشهدون أن مع الله الهة أخرى قل لا أشهد قل إنما

هو اله واحد وانني برىء مما تشركون « (٥٠)

فانظر الى قوله تعالى « لانذركم به ومن بلغ » والى قوله عز وجل « انكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى قل لا أشهد » الخ وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم مكلف بدعوة العالمين الى التوحيد وانه برىء من المشركين فمن امن بالله وحده نجا ولله البشارة ومن أشرك ومات مشركا هلك بحكم دخوله تحت حكم الانذار .

فمكة « أم القرى » بمنزلة القطب الثابت المتصلة به جميع أجزاء الارض اتصالا ثبوتيا فاذا رفع هذا القطب من الارض عند قيام الساعة أتى الارض ما توعده ومن هنا تعلم أن الكعبة « أمان » للارض وأهلها الى يوم القيامة فله الحمد والمنة على عظيم هذه النعمة « ... اه

هذه المزايا التي تيسر لي ذكرها في هذا المختصر وقد جاءت موافقة لحجم هذا الكتاب والا فمزايا الكعبة المشرفة أكثر من أن تحصر نسأل الله تعالى أن يوفقنا لمعرفتها وشرحها شرحا وافيا امين .

الخاتمة

تذكر فيها بعض اللطائف

قوله تعالى : « الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهما لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد احاط بكل شيء علما » (٥١) أخرج الطبراني عن مجاهد قال : « الكعبة بين أربعة عشر بيتا من السموات السبع والارضين السبع » ومعنى « بين » — أي — في منتصف القياسات العلوية والسفلية (٥٢) والسطحية (٥٣) وقد ذهب الاكثرون الى أن « الامر »

(٥٠) الاتمام اية ١٩

(٥١) الطلاق اية ١٢

(٥٢) — أي — المبيعة حتى الارض السابعة

(٥٣) — أي — ظهر الارض من جميع الجهات

هو القضاء والقدر وقيل هو الوحي كما قال مقاتل وغيره وعليه فيكون «بينهن» هو ما بين الارض السابعة الى السماء السابعة وقال الحسن « ما بين كل سماء وسماء امر » والله اعلم .

ولنلق نظرة فكرية صحيحة على معنى قوله تعالى « يتنزل الامر بينهن » وكما تقدم من ان الامر هو القضاء والقدر أو هو الوحي بكامله وهو منزل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو خلقه عليه الصلاة والسلام فنعلم من ذلك بأن الكعبة ارتباطا أزليا وحكما حقيقيا لشمول معنى القضاء والقدر فتكون الكعبة بهذا الاعتبار محلا للتصريف ومنطلقا له ويتجلى هذا المعنى في ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم فيه وحصول الارهاصات الكبيرة ليلة مولده ثم نشأته فيها ثم وضع الحجر الاسود بيديه الكريمتين في مكانه ثم تعبدته في غار «حراء» حتى بدأ نزول الوحي عليه وظل يتتابع حتى نزلت آخر اية عليه يوم عرفة « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » وعندها تم الامر والوحي وهو الشامل لمعنى القضاء والقدر وهكذا فقد شرع الجهاد وبدأت الفتوحات حتى دخل الاسلام في كل مكان واستقر معناه في كل جنان ووجدان ، فليتدبر باختصار . . اه

الباب الثامن

في الاحاديث النبوية فيما يكون بين يدي الساعة

وهذا الباب متمم باختصار الى ما تقدم ذكره وفيه بيان لصحة ما اخبر عنه صلى الله عليه وسلم كما ستراه مشروحا شرحا مختصرا مطابقا للواقع الذي يعيش فيه الناس بصورة عامة وقد انتقيتها من الاحاديث الصحيحة المثبتة في كتب العلماء بدقة وتحفظ

الحديث الاول

روى أحمد في مسنده وغيره عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله » في هذا الحديث الشريف اشارة الى أن الساعة — وهي القيامة — لا تقوم الا اذا لم يبق في الارض مؤمن يذكر الله تعالى بقوله «الله» مما يدل على أن أولئك الذين تقوم الساعة عليهم هم شرار الخلق كما جاء في حديث آخر « لا تقوم الساعة الا على شرار الناس » رواه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه وهذه الظاهرة من البشر تظهر بعد طلوع الشمس من مغربها ويكون باب التوبة قد أغلق وليس هناك ايمان يذكر والمدة التي بين طلوع الشمس من المغرب وبين النفخة الاولى مائة وعشرون عاما وهي التي لا يكون من أهل هذه المدة من يقول «الله الله» واختص هذا الاسم من غيره من الاسماء لانه الاسم الذي اجراه الله تعالى على السنة عباده اجمعين عادة وعبادة وذكر واستشعارا لانه علم على «الذات الالهية» وشهرته لا يستطيع أحد أن يخفيها حتى ولو كان كافرا أو ملحدا قال تعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله » « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله » وهكذا فهو اسم الجلالة الجاري على السنة الناس اجمعين بل على السنة الخلائق اجمعين ولان جميع الاسماء الحسنی تضاف اليه وهو لا يضاف الى اسم منها والحديث عن هذا الاسم المعظم يطول وقد تحدثت عنه بصورة مطولة في غير هذا الكتاب نرجو الله أن يبسر لنا طباعته ونشره انه نعم المعين .

الحديث الثاني

« لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد »

رواه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه عن أنس رضي الله عنه وهذا لا يعني المباهاة بذات المساجد لان المساجد لا تقام الا لله تعالى ولكن المعنى والله أعلم أن هذه المباهاة تكون من قبل المصلين حيث يكون حديثهم في المساجد في أمر دنياهم من جميع نواحيها كما ورد في الحديث الشريف « يكون حديثهم في المساجد في أمر دنياهم » ويدور الحديث حول ما يقيمه الانسان من مبان ضخمة واقتناء السيارات الفخمة والتجارة العامة والشهادات العالية وما الى ذلك مما هو من الامور الدنيوية وبسبب التحدث عن هذه الامور الدنيوية في المساجد تظهر الفوارق بين من يملكها وبين من هو دونه فيكون ذلك بمنزلة المباهاة لان النفس البشرية تواقعة للشهرة ، وربما وقعت في المباهاة دون استشعار ومما يدل على صحة هذا القول قوله عليه الصلاة والسلام « في المساجد » ولم يقل بالمساجد لان في هنا ظرف مكان ولو قال « بالمساجد » لانتقلب المعنى وربما كان التباهي بالشخصية — أي — أن الانسان يرى نفسه أنه أفضل من غيره وأحق في أن يظهر أمام الناس في مكان لا يليق الا به وهكذا وهذه الظاهرة تكون من علامات قرب الساعة وهي أبعد بكثير عن الساعة من معنى الحديث الاول كما تقدم الا انه يدل على رفع الخشوع وخلو القلوب منه وانفصالها عن الصلة برب المساجد اذ أن القلب المتصل بالله تعالى لا يشتغل في المسجد وخارجه الا بالله تعالى الا ما كان من تحقيق المصالح الدنيوية الموافقة للدين وليست هذه الظاهرة ظاهرة عمومية تشمل جميع الناس والمساجد تجدد فيها الكثير من المؤمنين المتقين الخاشعين وانما هي مقتصرة على البعض من الناس ولكن قد يكون هناك من يستطيع تغيير هذه الظاهرة ولذلك جاء النص بلفظ العمومية لان الساكنة عن المنكر وهو يقدر على تغييره كالمشارك فيه باعتبار أن الحديث الدنيوي في المساجد منكر يجب تغييره وقد جاء في حديث آخر « وارتفعت الاصوات في المساجد » — أي —

ارتفاع الاصوات في المساجد من أعمال أهل آخر الزمان وهذا ما يحدث كثيرا في هذا الزمن .

الحديث الثالث

« لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس لكع ابن لكع » (٥٤)
ومعنى الحديث الشريف — اي — يكون هذا النوع من البشر أحظى الناس بطيبات الدنيا ومتعها ونعيمها مع كونهم لا يصلون ولا يصومون ولا يحجون ولا يشكرون ولا يعرفون عن التقوى شيئا ومع ذلك تنصب عليهم نعم الدنيا انصباب الغيث على الارض وبدون انقطاع ويستعمل هذا اللفظ «لكع» للاحمق واللئيم والفساق والملحد والمنافق ومن يشابههم في الاخلاق ويطلق المعنى على من ليس له أصل يعرف به كالذين يتناكحون بغير شريعة وعلى من لا يحمد له خلق من الاسافل والرعاع وحاصل المعنى أن الدنيا يسيطر على ثرواتها الامم الجائرة من حيث الاستثمار والاستعمار والاستغلال والاستئثار كما هو معلوم فصلوات الله وسلامه عليك يا حبيبنا يارسول الله حيث اخبرتنا عن ذلك قبل أربعة عشر قرنا .

الحديث الرابع

« لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : يا ليتني مكانه » (٥٥)

وذلك حينها تكثر الفتن وتشتد الكروب وتتضاعف الشدائد والحن والكوارث وتظلم الحياة ولم يبق يومئذ أمل في المخرج منها بل انها تزداد مع الايام قسوة واستئصالا فالمؤمن يتمنى الموت خوفا على دينه وحرصا على عقيدته لانه لا يجد من يحميه او يعينه ويكون كالشاء الجرباء كما نطق بذلك الحديث الشريف .

واما المنافق فهو على العكس من ذلك لانه يكون مستغرقا في شهواته وملذاته تلك التي تنسيه الواقع المؤلم الذي يعيش فيه

(٥٤) رواه احمد في مسنده والترمذي عن حذيفة وقال احمد لابس به

(٥٥) متفق عليه . رواه احمد في مسنده عن ابي هريرة

أهل زمانه ومثله المترفون والدهريون ومن هم على شاكلتهم كما أخبر عنهم القرآن الكريم بقوله تعالى « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة » (٥٦) وقال تعالى في الآيات التي قبلها « ولن يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم » فانظر كيف استعمل القرآن الكريم أداة النفي بحيث لا يتصور منهم ذلك أبدا إلا أنهم في غرورهم وتماديهم في غفلة عن الاعتبار « بالثلثات » فهم كما يقول عنه القرآن الكريم « نمتعهم قليلا ثم نضطرهم الى عذاب غليظ » وكما قال تعالى « قل متاع الدنيا قليل » — أي — أن مدة بقاء الإنسان فيها أقل من القليل .

الحديث الخامس

« لا تقوم الساعة حتى يخرج سبعون كذابا » (٥٧)

وقد خرج البعض منهم منذ عهد النبوة — أي — قبل وفاته صلى الله عليه وسلم ولكن الله تعالى عجل بأخذهم ومحا أثرهم وذكرهم ، وكذلك من هم على أمثالهم ، على مر العصور من بعد ذلك فمنهم من سلط الله عليه من انتقم منه به ومنهم من أخزاه الله تعالى بالخزي المناسب بافترائه ومنهم من جعله أضحوكة للناس على مر الزمن وهكذا ومنهم من ندم وتاب وإلى الله المرجع والمآب .

وأما كذبهم فهو أشد أنواع الكذب إجراما وبهتانا لأنه كذب على الله ورسوله ولأنه ليس كالذي يكذب على الله ورسوله بوضع حديث مثلا وإن كان هذا النوع من الكذب خطيرا لقوله عليه الصلاة والسلام « فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » فمدعي النبوة من غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو أظلم الكاذبين وأخبثهم سريرة وأنتهم ذكرا وأعظمهم خطرا وتطاولا لأنه يحمل

(٥٦) البقرة آية ٩٦

(٥٧) رواه الطبراني عن ابن عمرو من طريقين وزاد في أحدهما « كلهم يزعم أنه نبي » وزاد في رواية « أخرهم الأيوبر الدجال مسوح العين اليسرى كأنها عنبية » ورواه مسلم بلفظ « لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا كلهم يكذب على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم » ورواه من طريق أخرى بلفظ ثلاثون كذابا العنسي ومسيبة و هـ .

في معنى دعواه الباطلة زعمه ابطال النبوات جميعها لمعارضته
ما جاؤا به من تشريع سماوي وتشريعه للناس ما يناسب هواه
وكذبه ودجله ولكن الله تعالى لهم بالمرصاد فقد عجل بأخذهم قبل
أن يستقحل أمر واحد منهم .

أما الاعور الدجال فعلى ما يبدو أنه أشد خطرا من الشيطان
بل ومن جنوده أجمعين لان الشيطان يتبرا من الانسان اذا كفر
ويقول « اني أخاف الله رب العالمين » بخلاف الاعور الدجال فانسه
يدعي أنه رب الناس ورازقهم وقد تقدم الحديث عنه في سياق
الحديث عن أشرراط الساعة الكبرى فارجع اليه ان شئت وظهوره
يعتبر العلامة الثانية بعد المهدي عند من عد ظهور المهدي العلامة
الاولى .

وأما الكذب فينقسم الى ثلاثة أقسام «الاول» الكذب على
الله تعالى ككذب مدعي النبوة وغير ذلك كالتقول عليه بما لم يقله
على لسان الوحي والتألي عليه أنه سيعذب فلان «أو سيدخله الجنة
بغير استحقاق ونحو ذلك . » «الثاني» الكذب على رسوله صلى
الله عليه وسلم كأن يضع حديثا مختلقا أو يصدق من يضع الاحاديث
أو ينسب اليه فعلا زائدا عن أفعاله . أو بالعكس

صلوات الله وسلامه عليه أو يصفه بصفة ليست من صفاته
الكاملة أو « ينكر عليه معجزة من معجزاته الشريفة أو يتحدث عنه
بما ليس له به علم أو يزيد في عمره أو ينقص منه أو يصفه بأنه
مرض مرضا منفرا الى غير ذلك مما هو ليس بخاف نعوذ بالله من
ذلك .

«الثالث» الكذب على الناس يعني كذب الناس بعضهم
على بعض وقد قال عليه الصلاة والسلام «أصدقوا اذا حدثتم»
وكان عليه الصلاة والسلام اذا رأى من أحد كذبة أعرض عنه
ولا يتغير ما في نفسه الا اذا علم بأنه تاب ورجع الى الصدق وقد
امر بالتزام الصدق مهما كلن الامر حتى ولو رأى الانسان فيه
الهلكة مثلا وحذر من الكذب ولو رأى الانسان فيه النجاة فان

النجاة في الصدق حقا والهلكة في الكذب مهما حاول الانسان أن يجعله صدقا ، قال عليه الصلاة والسلام « عليكم بالصدق وان رايتم فيه الهلكة » والكلام في ذلك يطول والكذب على الناس مراتب ليس هذا محل تفصيلها نعم أجاز الشرع الشريف الكذب في أمور تتحقق بها بعض المصالح واستقامة الحال مع بعض الناس وهي تنحصر في «الاصلاح بين الناس» و «الحرب» و «كذب الرجل على زوجته ليسترضيها بشرط أن لا يكون ذلك سببا في هدر حقها بالكلية» و «حماية المؤمن من الظالم» و «حفظ الامانة اذا استودعها» ونحو ذلك مما هو جازئ ومباح ... اهـ

وعلى كل حال فاعلم بأن جميع فروع الكذب منبثقة من الكذب على الله ورسوله لان الذي يكذب على الله يكذب على الناس فعلى هذا التعبير يكون الحديث شاملا لكل من يتزعم الكذب سواء كان على الله ورسوله أو على الناس ولان الكذب على الناس يعتبر طمسا لمعالم الحق الذي جاءت به الشريعة واذا أردت زيادة الايضاح في هذا المعنى فعليك بمراجعة كتاب « خلق المسلم » للغزالي جزاه الله خيرا فهو يتكلم لك بصراحة تامة .

الحديث السادس

«لا تقوم الساعة حتى يكون الزهد رواية والورع تصنعا» (٥٨) والمعنى أن يكون الزهد (٥٩) مجرد قول لاغير وكأنه من بعض القصص يكتفى به (٦٠) عن العمل به .

وأما الورع فهو : تكلف حسن السميت والتزين به اظهارا له دون الرغبة فيه كأن يتزيا الانسان بزي الصالحين الورعين وهو على خلاف ذلك اظهارا وباطلا وهذا ان دل على شيء فانما يدل على الحال الذي يكون عليها الناس في اخر الزمان حيث يفشو

-
- (٥٨) رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة رضي الله عنه .
 (٥٩) أخذ الحلال وترك الحرام . واينار الآخرة على الدنيا وله معان سامية وشريعة وهو من أخلاق الانبياء عليهم الصلاة والسلام . لان سواهم لا يستطيع التخلق به بصورة كاملة .
 (٦٠) الضمير راجع الى القصص .

على الحال الذي يكون عليها الناس في آخر الزمان حيث يفشو الجهل بالله تعالى وتعاليم دينه ويقع الكثير في الغرور .

الحديث السابع

« لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت » (٦١)

وهذا الحديث في ظاهره اللفظي لا يطلق معناه الا على آخر الزمان — أي — في الوقت الذي يشتغل الناس فيه عن الحج بظهور العلامات الكبرى بعد عيسى عليه السلام والا فما دون ذلك فعدد الحجاج يتزايد في كل عام واما اذا حملنا معنى الحديث على أن المراد من قوله « حتى لا يحج الناس » — أي — حجا كاملا أو غير مقبول لاحتمال أن يكون من يقصد الحج يقصده بنفقة من المال الحرام فيكون كالذي لم يحج كما أخبرت عن ذلك الاحاديث الشريفة فان صح هذا الاحتمال فهو احتمال ضعيف لان الامة الاسلامية والحمد لله لا تخلو قلوبها من الايمان الصحيح الذي يدفع الانسان الى الحرص على القيام بواجبات الدين على الوجه الاصح وخاصة ركن الحج ولما لم يكن ذلك احتمالا قويا . فالمعنى ينبغي أن يحمل على ظاهر اللفظ لا على غيره — من الاحتمالات .

الحديث الثامن

« لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن والقرآن » (٦٢)

غاية لعدم قيام الساعة — أي — أن الركن والقرآن في حكم وجودهما الداخل في حكم بقاء الكعبة والايمان حتى آخر لحظة من الزمان يتحقق بذلك بعد قيام الساعة ما داما غير مرفوعين . والله في أرضه أربعة من اثاره ما دامت هذه الاربعة في الارض موجودة فقيام الساعة غير متوقع وهي — القرآن والسلطان

(٦١) مروي عن أبي سعيد وهو حديث صحيح .

(٦٢) رواه السجزي عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

والكعبة والمؤمن — فاذا فقدت هذه الاربعة في آخر الزمان فقيام الساعة يومئذ يكون قريبا

الحديث التاسع

« لا تقوم الساعة حتى تزول الجبال عن أماكنها » (٦٣)

فقد حدث زوال بعض الجبال عن أماكنها فعلا فقد نقل السيوطي في تاريخ الخلفاء أن في سنة اثنتين وأربعين بعد المائتين في خلافة المتوكل سار جبل في اليمن عليه مزارع لاهله حتى أتى مزارع قوم آخرين . وفي سنة ثلاثمائة في خلافة المقتدر ساح جبل «بدينور» في الأرض وخرج من تحته ماء كثير أغرق القرى . ويدخل في هذا المعنى كثرة زوال الجبال التي تتعرض للزلازل والانفجارات والبراكين وغير ذلك من تصدع ونحت يفضي بالجبل الى نقله من مكانه بسبب ما ، ونلاحظ أن هذا الحديث من باب خاص أريد به العام (٦٤)

وذلك لا يكون الا عند قيام الساعة الكبرى كما نطق بذلك القرآن الكريم حيث قال « ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيدورها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمثا » (٦٥) وايات اخرى تحدثت عما يعترى الجبال من احوال مختلفة .

أما ما ذكرته فغير مطابق لشمول معنى الحديث واطلاقه انما هو كما ذكرنا خاص أريد به العام وفي ذلك اشارة الى أن حدوث هذا الخاص يشير الى أن حدوث العام من بعده مؤكد والله أعلم

الحديث العاشر

« لاتقوم الساعة حتى ترضع رؤوس اقوام بكواكب من السماء باستحلالهم عمل قوم لوط » (٦٦)

في هذا الحديث الشريف انذار شديد لشرار الخلق الذين

(٦٣) رواه الطبراني من سيرة رضي الله عنه

(٦٤) ويجوز أن يكون من باب عام أريد به الخاص والاول اصح والله اعلم

(٦٥) سورة طه الايات : ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧

(٦٦) رواه الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما

يبدلون نعمة الله كفرا ويغيرون سنة العليم الخبير التي جعلها من أجل النعم على عباده أجمعين ألا وهي نعمة خلق الزوجين الذكر والانثى حيث جعل كل زوج منهما نعمة للآخر بخلق الخصائص الملائمة فيهما لطبيعة كل منهما وجعلهما سببا لامتداد وجود هذه النعمة ما دام أثر وجودهما في الحياة وهي نعمة يجب على العباد أن يراعوا حقها ويجنبوها أسباب الجحود والنكران والتغبر وقد جعل الله سبحانه في قصة قوم لوط عبرة لأولي الألباب والفطر السليمة يفهم منها بيتين ما كان عليه أولئك الاشقياء الاغبياء الذين انحطوا بأخلاقهم الدنيئة حتى عن مرتبة البهائم فان الذكر من البهائم لا يقرب الذكر ابدا بل ولا يهتم به وقد اجتمعت فيهم جميع خصال الشر من ظلم وفسق وجهالة واسراف وخبث وتدليس كما أخبر بذلك القرآن الكريم وما مثلهم في ذلك الا كمثل الصم البكم العمي الذين لا يبصرون ولا يعقلون ولا يسمعون ولا يتفكرون وقد وصل بهم حالهم السيئ الى درجة أنهم تناولوا على مقام النبوة والرسالة وقوم هذا شأنهم لم يبال الله بهم أن يذيقهم أليم العقاب وان يجعلهم عبرة لأولي الألباب وأن يعذبهم بعذاب يختلف عن جميع صور انواع العذاب الذي اصاب المجرمين والكافرين ولست بصدد الحديث عنهم وانما ألفت لك بهذه اللوحة لتعلم ان الذي يفعل فعلتهم الشنيعة سوف يصيبه ما أصابهم وسوف يحشره الله معهم ويذيقه يوم القيامة معهم شديد العقاب والخزي المبين .

وأما أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حفظهم الله تعالى من الوقوع في مثل هذه الحالة الدنيئة حيث جعل سرائرهم نقية . ونفوسهم طاهرة تقية وأرواحهم مقدسة نزيهة علوية لكن لما لم تنطبق هذه الصفات الا على الفئات المؤمنة منهم ند بعض المنحرفين عن صراطهم المستقيم وسلوكوا مسلك الامم الجائرة من قبلهم واتبعوا سننهم المعوجة فوقعوا فيما وقع فيه أولئك الاشقياء الا انه وللتخفيف عن هذه الامة جعل الله تعالى معاقبة بعض العصاة منهم كالذين يعملون عمل قوم والعياذ بالله دون عذاب

من ماثلوهم من قوم لوط فجاء الحديث يخبر عن أن عذابهم هو
 رضخ رؤوسهم بكواكب من السماء وذلك اذا لم يتوبوا الى الله
 تعالى والاسلام رتب على مثل هذا الفعل الشنيع عقوبة مناسبة
 لعظم حجمها وبشاعة صورتها فأمر النبي صلى الله عليه وسلم
 بقتل الفاعل والمفعول به دون هوادة الا أن العلماء اختلفوا في
 كيفية صورة القتل حتى قال بعضهم يرمون من قمة شاهق سحيق
 ثم يتبعونه بالحجارة ومنهم من قال بغير ذلك .. والحاصل أن
 قتلهم من الامور المتفق عليها بين العلماء .. وفي اخر الزمان وقبل
 الساعة سيكون في الناس من يعمل عمل قوم لوط ويستحل ذلك
 تطاولا على أمر الله العليم الخبير وانحرافا بالفطرة عن مسيرتها
 الصحيحة وبذلك يكون عقابهم ما ذكره الحديث الشريف « فهل
 من مدكر » نعم « فان الذكرى تنفع المؤمنين » قال تعالى « ومن
 يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب » نسأل
 الله العافية اه

الحديث الحادي عشر

« لاتقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر

ويكون الشهر كالجمعة وتكون الجمعة كالיום

ويكون اليوم كالساعة وتكون الساعة

كالضربة بالنار » رواه احمد والترمذي عن أنس

ومعنى هذا الحديث الشريف — والله اعلم — أن تقارب

الزمان المشار اليه هو عبارة عن سرعة مرور الزمن بدون

استشعار من الناس وعدم استحضار هذا الاستشعار يومئذ

ويرجع الى بعض العوامل النفسانية .

احدها : اشتغال الافكار بكثرة ما يتوارد عليها من هموم

وغموم وشواغل كثيرة تدعو الى اشتغال الفكر فيها بدون توقف

وهذا بالطبع من الاحوال التي تنسي الانسان وقته الحاضر بين

يديه .

ثانيها : استغراق الناس بالنعيم الدنيوي واشتغالهم بالملذات

واللهو واللعب وغير ذلك من متع الحياة واشتغالهم كذلك بحطام الدنيا والتنافس فيها وما الى ذلك وهذا أيضا من الاحوال التي تنسي الانسان مر الساعة أو اليوم أو الجمعة أو الشهر أو السنة وهكذا .

ثالثها : جواز أن يكون سرعة مرور الزمن بهذه الصورة ، رحمة بالناس وذلك لشدة حاجتهم الى الاستجمام والراحة وهم يقومون بحمل أعباء كبيرة من الحياة والنفس لا يستقيم حالها بالارهاق ولا بطول العناء بل لابد من سرعة مرور وقت العمل مهما كان نوعه ليلتقي الانسان بالوقت الذي يستريح فيه وليأخذ كفايته من الاستجمام والراحة وهذا تعبير حسن .

رابعها : هو كناية عن سرعة مجيء الساعة وفي ذلك تفضلا من الله تعالى على عباده المؤمنين بحيث يخرجهم من ظلمات القبور ويتخففهم بتكريمه لهم بجميع أنواع التكريم حيث تلتقي الاحبة بالاحبة ولقاء حبيبهم وموجدهم سبحانه من أجل النعم ودخولهم الجنة كذلك فيه من التكريم ما لا يوصف ولا يحد ... الخ ... وذلك ما يحصل لهم الا بخروجهم من قبورهم يوم البعث فيكون تقارب الزمان رحمة بالمؤمنين واتماما لامر رب العالمين حيث يعرف كل انسان فضل زيه وعدله .

خامسها : يحتمل أن يكون المعنى لهذا التقارب راجعا الى قصر البقية الباقية من عمر الدنيا وسرعة مرورها — فان طبيعة الامور تعرف بذلك فان الانسان عندما يكون في أول النهار يرى النهار طويلا ويجد في نفسه تأملا بما هو فيه من الاحوال ولكن عندما يصير في آخره ولم يبق منه الا القليل يرى النهار أصبح قصيرا لم يدر كيف مرت تلك البقية الباقية منه ؟ ويذهب عنه ما كان يجده في أوله — أي — ذلك الاستشعار بطوله ومثل اليوم جميع أجزاء الزمن ... اهـ

الحديث الثاني عشر

« لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب
يقتتل عليه الناس فيقتل تسعة أعشارهم » (٦٧)

في هذا الحديث الشريف تحذير للناس من تطلعهم الى حب
المال واستشراهم له بحالة تتنافى عن الوقوف عند حدود
الفضيلة والزهد والقناعة حيث أن الولع في حب المال يسبب
للإنسان صررا كبيرا فيما اذا دفعه الطمع الى ذلك .

وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم في غير ما حديث أن
المال سيفيض في آخر الزمان بشكل عجيب وغريب حتى أن الرجل
يخرج بصدقته ويعرضها ويهم من يقبلها فلا يجد أحدا يقبلها وقيل
قرب الساعة تخرج الأرض أفلاذ كبدها من بطنها على ظهرها
كشبه الاسطوانات الا أن هذا الحديث الشريف جاء ليخبر الناس
عما سينحسر عنه نهر الفرات من كنز كبير وهروع الناس اليه
من كل جانب ثم ينشب بينهم قتال رهيب بقصد الاستئثار به وينتهي
القتال بالناس الى فنائهم حيث لم يبق منهم الا العشر وهي نسبة
متناهية في القلة وليس بعد هذا الا التنصيف ولذلك حذر النبي صلى
الله عليه وسلم من الاقتراب منه ومحاولة الاخذ منه والدخول في
مخاصمة مع الغير من أجله وفي ذلك الظفر بالسلامة التي هي
أثمن من كل ثمين .

ويبلغ طول نهر الفرات « ٢٣٧٥ » كم يبدأ من هضبة « أرمينا »
في تركيا ثم يدخل في أراضي سوريا « عند جرابلس » ويجري في
سوريا بين « جرابلس » وأبي كمال حيث ترفده أنهار البليخ والخابور
— والخابور — خابوران — أحدهما : يرغد الفرات جنوبي شرقي
دير الزور في سوريا والآخر يرغد دجلة عند نقطة التقاء الحدود

(٦٧) رواه ابن ماجة عن أبي هريرة وبواه أحمد ومسلم عن أبي وفي أخره
« حتى يقتل من كل مائة تسعة وتسعون وكذلك رواه مسلم عن أبي
هريرة وروى عنه الشيخان وأبو داود مختصرا بلفظ « يوشك الفرات
ينحسر عن كنز فمن حفره فلا يأخذ منه شيئا » وفي رواية نعيم بن حباد عنه
فيقتل من كل تسعة سبعة فاذا أدركته فلا تقربوه .

العراقية التركية كما انه يتابع مسيره حتى يدخل الاراضي العراقية وهكذا حتى يصل الرمادي وهناك يعرض مجراه ويكون حوضه أخصب وبعد الرمادي والفالوجه يسير النهر في أرض مستوية ثم لا يلبث أن يقترب من دجلة ويتابع الفرات جريانه حتى يلتقي بنهر دجلة عند كربة علي ويكونان شط العرب فسبحان الله العليم الحكيم ولياه نهر الفرات فضائل كثيرة لانه من الانهار الاربعة التي تخرج من الجنة الى الدنيا وهي : سيحان وجيحان والنيل والفرات ومن خصائصه انه يبرى من العاهات على ما ذكر عن جعفر الصادق رضي الله عنه انه شرب من مائه ثم استتراد فقال ما أعظم بركته لو علم الناس مافيه من البركة لضربوا على حافتيه القباب ما غمس فيه ذو عاهة الا برىء .

وذكر السدي أن الفرات امتد في زمن عمر رضي الله عنه فالقى رمانة كبيرة عظيمة فيها كر من الحب فأمر المسلمين أن يقتسموها بينهم وهم يرون أنها من رمان الجنة وعن علي رضي الله عنه قال : « يا أهل الكوفة ان نهركم هذا ينصب اليه ميزابان من الجنة » ... اه

سيحان وجيحان والفرات والنيل من انهار الجنة . حديث صحيح رواه الحاكم عن ابي هريرة .

وسيحان نهر العواصم قرب مصصة : وجيحان نهر أدنة . هذا هو الاصح بخلاف من وهم بأن اسميهما سيحون وجيحون ، فقد حكى النووي الاتفاق على المغايرة . لان سيحون نهر بالهند أو السند وجيحون نهر بلخ ينتهي الى خوارزم . وأما الفرات والنيل فهما المشهوران المعروفان .. اه

الحديث الثالث عشر

« لاتقوم الساعة حتى يرفع الركن والمقام ورؤيا النبي صلى الله عليه وسلم »

ومعلوم ان اخر الايات رفع القران من الصدور والسطور

بعد رفع الكعبة وبسبب رفعها وعند تلك اللحظة يرفع كذلك
 الايمان وبارتفاع الايمان يفتقد المؤمنون من بين الناس ولما لم
 يكن هناك مؤمن لم يبق أثر متصل بالحقيقة الحمديد فيكون ذلك
 سببا لرفع رؤياه في المنام مما يدل على قرب قيام الساعة اذا ما
 رفعت هذه الامور الثلاثة عن الارض بالاضافة الى ما تقدم ذكره
 كرفع القرآن وغيره .

الحديث الرابع عشر

« لانتقم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما
 مقتلة عظيمة دعوتها واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب
 من ثلاثين كلهم يزعم انه رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل
 ويتقارب الزمن وتظهر الفتن ويكثر الهرج — القتل — وحتى يكثر
 فيكم المال فيفيض وحتى يهرب رب المال من يقبل صدقته وحتى
 يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي به وحتى يتناول الناس
 في البنين وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه وحتى
 تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون
 فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في
 ايمانها خيرا ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه
 ولا يطويانه ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا
 يطعمه ولتقوم الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه ولتقوم
 الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها » (٦٩)

اعلم ان الفئتين العظيمتين المذكورتين في هذا الحديث حيث
 تكون دعوتها واحدة هما باختصار كما تشير اليه ملامح الواقع
 حيث أن العالم يقف الان باسره بين معسكرين عظيمين وهما
 المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي وأن دعوة كل واحد منهما
 واحدة فالمعسكر الشرقي ينقسم الى قسمين بين دولتين عظيمتين
 هما «الصين وروسيا» والمعسكر الغربي ينقسم كذلك الى قسمين

(٦٨) أخرجه الجزي عن ابن عمر رضي الله عنه
 (٦٩) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

كبيرين يدخل تحتها عدد كبير من الدول المعدودة وغيرها يتزعم القسم الاول الولايات المتحدة ويتزعم القسم الثاني رأس الدول الأوروبية . يتضح لك من خلال هذا الكلام أن هناك احتمالات متواجبة من أن معنى الحديث الشريف يتناول معسكري الاشتراكية وهما الصين وروسيا ويتناول كذلك معسكري الرأسمالية وهما الولايات المتحدة ورأس الدول الأوروبية . ومما يزيد الاحتمال توقعا ظهور الخلاف بين أقسام هذين المعسكرين وليس الخلاف الظاهر بين هذه الاقسام متقاربا في أهدافه وحجمه على أن احتمال وقوع هذا القتال بين المعسكرين الشرقيين أكثر من وقوعه بين المعسكرين الرأسماليين والله أعلم .

تنبيه : هناك فئتان من المسلمين وقع بينهما قتال وهما فئتا علي ومعاوية رضي الله عنهما وحصل بينهما من القتال ما حصل ولكن — والله أعلم — لا يطلق معنى ما جاء في أول هذا عليهما وذلك بحكم البعد الزمني بينهما وبين الفئتين العظيمتين الموجودتين في هذا الزمان ، وان صح الاحتمال على أنهما هما بالفعل فلا يعني ذلك قرب قيام الساعة وانما يعني أن هذه كفرها من العلامات التي تكون في آخر الزمان — أي — قبل ظهور أول علامة من العلامات الكبرى والله أعلم .

وأن الخصال الأخرى التي عددها الحديث الشريف فهي معلومة ، وقد ذكر الأغلبية من هذه الخصال في الابواب المتقدمة، وأنها — أي — هذه الأغلبية ظهرت ولم يبق من الخصال التي عددها الحديث الشريف الا القليل ، وهي التي تكون من الساعة قاب قوسين أو أدنى .

الحديث الخامس عشر

« لاتقوم الساعة حتى يمشي ابليس في الطريق والاسواق يقول حدثني فلان عن رسول الله بكذا كذبا وافترأ » (٧٠)

يفهم من هذا الحديث أنه اذا كان الناس على مقربة من قيام

(٧٠) هذا الحديث مذكور في رواية أبي العالية .

الساعة ، كثرت اشاعة الكذب في كل مكان جهرا واستهتارا ومكرا وخداعا ، ويكون ابليس عيادا بالله من شره ، هو الذي يروج ذلك الكذب بين الناس ليوثقهم في الضلال ، ويتولى ذلك بنفسه ، ويظهر في الاسواق والطرق ، بصورة انسان من البشر ، وبشكل مموه يظنه الناس انه رجل صالح من بني آدم . وفي ذلك اشارة الى أن الجن قادرون على التشكل بأية صورة شاؤا ويفهم من خلال معنى هذا الحديث أن ذلك الزمان يكون خلوا من العلماء وأهل الدراية والعلم بالحديث الشريف ، لان الاحاديث التي يشيعها ابليس انذاك لا تخفى على العلماء لو كانوا موجودين ، لانها ظاهرة المعنى من حيث أنها تأمر بالضلال والمعاصي والفسوق والفساد . فلو كان هناك يومئذ علماء عالمون لحذروا الناس من ذلك ولبينوا لهم حقيقته

الحديث السادس عشر

« اذا رأيت الخلافة قد نزلت الارض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والامور العظام والساعة يومئذ اقرب من يدي هذه الى رأسك » (٧١)

ومعنى هذا الحديث أن نزول الخلافة الارض المقدسة ، دليل على دنو الايات العظام التي تكون بين يدي الساعة ، ويفهم من معنى هذا الحديث أن الخلافة المشار اليها هي « خلافة المهدي آخر الزمان » فانه ينزل في بيت المقدس ويتخذ مقر خلافته ، حتى ينزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ، وليس المراد منها نزول بعض الخلافات السابقة لانه لو كان الامر كذلك لرأينا الايات والزلازل والبلابل والامور العظام ، ولانتهى أمر الدنيا بعدها ولكن المعنى بوضوح يطلق على خلافة «المهدي عليه السلام» لانه آخر الخلفاء من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولانه يعقبه عيسى عليه السلام في الظهور ويظهر الدجال بين عيسى والمهدي حتى يقتله عيسى ثم تتابع الايات كنظام انقطع سلكه فتتابع

(٧١) رواه ابو داود والحكم عن عبد الله بن حواله

وحقا انها لامور عظام ، واحداث جسام « والساعة يومئذ تكون على مقربة من الناس » كما اخبر صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم .

الحديث السابع عشر

« ست من اشرط الساعة موتي وفتح بيت المقدس وأن يعطى الرجل ألف دينار فيتسخطها ، وفتنة يدخل حرها بيت كل مسلم وموت يأخذ في الناس كتعاص الغنم وأن يغدر الروم فيسيرون بثمانين بندا تحت كل بند اثنا عشر ألفا » (٧٢)

اعلم ان هذه الامور الست فيها ما كان وانتهى ، وفي مقدمتها موت النبي صلى الله عليه وسلم ثم فتح بيت المقدس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأما استفاضة المال فقد حصل كذلك لما اتت الفتوحات الاسلامية على الامة ، وانتقلت اموال الامم كلها الى الخزينة الاسلامية ، الا أن نفوس الصحابة رضوان الله عليهم كانت قانعة ، ولم يكن هدفهم انذاك الدنيا ولا ما فيها من ثروات ، وحاشا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك لانهم كانوا على جانب كبير من الاخلاق الكريمة والخصال الحميدة ، فرضى الله عنهم ورضوا عنه أما التسخط مع كثرة العطاء فانه لا يكون الا من ذوي النفوس الحريصة على شهواتها وحظوظها الدنيوية ، ولا يكون ذلك الا اذا جف الايمان الصحيح عن النفوس ، واستولى عليها حب الدنيا لان ذلك هو سبب التسخط ، ولا يكون الا في اخر الزمان وان تقدمته بعض الصور الجزئية على مر العصور ومن يدري فكم من احداث مؤلمة يسببها هذا التسخط ، ربما كان سببا في شفاء بني الانسان يوما من الايام . نسأل الله تعالى أن يجنب المسلمين ذلك انه اكرم مسؤول وخير مأمول .

وأما الفتنة التي يدخل حرها بيت كل مسلم ، فيخبرك عنها

(٧٢) حديث صحيح رواه أحمد والطبراني عن معاذ وهو مروي كذلك عن عون ابن مالك

البدع ومظاهر زينة الحياة الدنيا والالتفات للهو كالمعازف وغيرها
فانه ما من بيت من البيوت الا وفيه من هذه الوسائل الشيء
الكثير والمعنى يطلق كذلك على تبادل الزيارات الخارجية على
حدود الشرع وقواعد الدين ، وعلى اجتماع الرجال الاجانب
بالنساء الاجنبيات ، ويطلق كذلك على اقتناء المجلات المليئة
بالحديث عن مغازلة الفتيات ، والاحداث المزرية التي تقع في
المجتمعات البشرية ، ويطلق كذلك على الصور الكثيرة باختلاف
انواعها وأشكالها ومظاهرها ، ويطلق كذلك على اشربة التسجيل
التي لم تترك صوتا غنائيا جميلا مثرا للعواطف البشرية الا وحملته
ولا عبارة كذلك تتغنى بأحسن غناء وأدعاة لاثارة العواطف لكل
من الجنسين الا وأبدعته ، وانها تحمل طابع الصراحة بدون
استحياء ، ويطلق كذلك على الازياء المختلفة التي تزيد من محاسن
المرأة أمام النظار ، ويطلق كذلك على الاعتناء بالافكار الاجنبية ،
وما تحمله من آراء وأفكار واثير تعلم ذلك على تعليم ثقافة
الاسلام ، وأشد من هذا كله ترك عبادة الله تعالى فان كثيرا من
البيوت لا يذكر فيها اسم الله تعالى ولا تتلى فيه آياته الكريمة
ولا يقيم أهلها الصلاة المكتوبة ، ولا يأمرهم بالمعروف ولا ينهون
عن المنكر ، ولا يقيمون للفضيلة وزنا . ويطلق كذلك على ادخال
الاشياء المحرمة والضارة من مأكولات ومشروبات في البيت بدون
مبالاة بكونها محرمة ، ثم انك لا تجد بيتا يخلو من «الدخان» تلك
المادة الخبيثة التي يسري ضررها في النفوس سريان الداء
الفتاك الذي اذا تمكن من النفس استعصى على قواعد الطب
ووسائل الشفاء ، وأفضى بالحياة الى الذوبان والذبول ، وفوق
ما فيه من أضرار صحية ، لا تنس أضراره المادية التي تهدم الحالة
الاقتصادية عند الاكثرين ، دون شعور بذلك ، اذا قيل للانسان
أنق الله في مالك ونفقة عيالك وصحتك ، يستغرب منك هذا النصح
الديني ، ويقول قولته الجريئة على الشرع والمنطق العقلي السليم ،
اثنتي بدليل من القرآن ينص على تحريم الدخان ، وكأنه يريد
وحيا جديدا اذ لم يقتنع بمنع الاسلام شربه عن طريق القياس الذي
يعتبر عند المسلمين مصدرا من مصادر التشريع الاسلامي الاربعة

بينما وفي نفس الوقت وقبل ظهور الدخان « بخمسة قرون جاء القرآن الكريم يقول : «كلوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب المسرفين » فاذ لم يكن الدخان من المأكولات ولا من المشروبات المباحة التي ينهي القرآن عن الاسراف في استعمالها وأن المسرف مبعوض عند الله فهو في طبيعته الخبيثة المضرة الفتاكة أشد خطرا على الانسان في جميع انواع الاسراف والتبذير ، والطعام والشراب اللذان نهى الله تعالى عن الاسراف فيهما لهما أوقات محددة بالنسبة للطعام وهي كما هي معروفة من ضرورتها لا تتجاوز الثلاث مرات في اليوم والليلة — أي — مدة أربع وعشرين ساعة وأما الماء أو الشراب المباح فيتكرر في اليوم والليلة بصورة منتظمة تتفق مع ضرورة الجسم ومتطلباته الحيوية : فالاسلام نظم تناول الطعام والشراب حسب مقتضى الضرورة فلا يأكل الانسان الا على جوع ولا يشرب الا على عطش وليس للانسان غنى عن هذين الاصلين في حفظ صحته وتنمية جسده وهما مع ذلك يحتويان على جميع الخصائص اللازمة لذلك ومقومات التنمية الجسدية والروحية يعنى الطعام للجسد والماء للروح لان الطعام من الارض والماء من السماء كما ان الروح من السماء والجسد من الارض وفي معنى نزول الماء من السماء واختلاطه بجميع أجزاء الارض من تربة وغيرها اشارة الى اختلاط الروح بجميع أجزاء البدن وكلا صورتين متشابهتين ومتوافقتين ثم انظر كيف أن الله تعالى سخر للانسان جميع الوسائل الضرورية لاصلاح الارض واستثمار ثرواتها بكافة أنواعها واستخلاص جميع أنواع الغذاء بطرق معروفة مألوفة وربط سعيه الدؤوب بذلك وجعل في نفسه حب التطلع لذلك والجسد لا يستطيع وحده أن يفعل شيئا لولا وجود الروح المدبرة فيه والروح وحدها لا تستطيع أن تفعل شيئا لولا وقاية الجسد لها ، وكلاهما يعتمدان على ما يتناولانه من طعام وشراب ولو أردت أن أزيدك على هذا البيان لاشغلتك زمنا طويلا ولكن خير الكلام ما قل وافاد فكن من خيرة العباد والله يتولى هدايتنا وهدايتك وجميع المسلمين للخير والرشاد انه خير هاد .

اما الدخان يا أخي المحترم فانه خارج عن هذه المعاني كلها ولا يدخل ذوقا وحسا في طرف من أطرافها فهو وان كان يخرج من الارض ويمتص مادته منها الا أنني أذكرك بطهر السماء وقداسة ذلك الطهر ، ثم لما تمخض القضاء والقدر عن عجائب محتوياته الغيبية قذف بابليس من ظلمات بواطن الشرور فاذا به يملؤها نتنا وخبثا لولا أن الله طهرها منه وإلى غير رجعة

اذن فالحكمة الالهية جارية وفق النظام الازلي الذي قضى أن لا يعرف الشيء الا بضده فلولوا وجود الشر لما عرف الخير وبالعكس .

ولولا وجود الانسان لضاع معنى الاختبار والامتحان ولما كان لوجود الجنة والنار معنى : « فهل من مذكر » .

ثم ان ابن ادم يوم القيامة يسأل عن ماله من أين جمعه وفيهم اتفقته فلسا فلسا ودرهما ودرهما ودينارا ودينارا فرب ثمن شيء من المأكولات أو غيرها من النفقات تقرب به المؤمن الى ربه أدخله الله به الجنة ، ورب ثمن «علبة الدخان» دخل به الانسان النار أو حوسب عليه حسابا عسيرا « لان الاسلام جاء ينهي عن اضاءة المسال » وقال تعالى « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما » وشارب الدخان لا يعلم بأنه أضاع أمواله في الدخان على حساب «ابليس» لانه أستاذ السفهاء كما أخبر عنه بقوله تعالى « وأنه كان يقول سفيها على الله شططا » — أي — يأمر الجن بأن يقولوا على الله القول الشطط « لان هذا القول للمؤمنين منهم قالوا ذلك بعد أن امنوا بالله ورسوله » .

والكلمة التي لا بد منها هي أن الامة في هذا الدور التاريخي الكبير هي بحاجة ماسة الى هذه الاموال الضخمة التي تذهب ضحية النيران ليل نهار على أنها لو جمعت في صندوق خاص — أي — مقدار ما ينفقه شاربو الدخان سنة واحدة لقامت هذه المتوفرات بسد حاجة الامة في كثير من المصالح التنموية والحيوية والحاضرة والمستقبلية فاننا لو قمنا باحصاء هذه المبالغ بدقة لوجدناها تفوق

على خزائن أمة من الأمم الغنية هذا قليل من كثير أوليس من
الانصاف أن تنفق هذه الاموال فيما يعود على الأمة بالخير
والرفاهية واقامة المشاريع وسد حاجة الفقراء والمعوزين ...؟
نعم قل معي يا أخي ألف نعم لنرضي الله تعالى ورسوله والوطن
والتاريخ والضمير والا فيكفي أن أقول لاحول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم اللهم الهما وجميع المسلمين لان نسعى لصالح
الدين والدنيا والاخرة ... امين .

ولنرجع الى ما نحن بصدده من استعراض بقية هذه الخصال
الست التي ذكرها هذا الحديث الشريف « وموت يأخذ الناس
كتعاص الغنم » (٧٣) وقد فسرهُ العلماء بطاعون عمواس الذي
وقع زمن الصحابة واستشهد به عدد منهم ولا حاجة للحديث عنه
لانه معروف ومعنى هذه العبارة قد لا يطلق على غيره لانه لم يحدث
ما يشابهه .

وأما ما تسببه الحروب الطاحنة كالحروب العالمية من موت
وفناء فهو سببه من حيث الكم بفتك الطاعون الانف الذكر بل ان
خطر وضرر مثل هذه الحروب أشد وأكثى من فتك الطاعون
فالطاعون يقتضي على الناس بدون حرقهم بالقنابل .

وقد أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم بأنه «رحمة لامته»
يتخذ منها به شهداء فيدخلهم الجنة مع الداخلين .

وأما الاسلحة المدمرة فهي من نوع «الويل» الذي أخبر عنه
المولى عز وجل نسال الله السلامة وأما قوله عليه الصلاة
والسلام « وأن يغدر الروم فيسيرون ... » . فواضح من أن خاتمة
الحديث الشريف تبعث عبر القرون الماضية وقبل أربعة عشر قرنا
مع أثير حركات الفلك للمسلمين تحذيرا شديدا يضع النقاط على
الحروف ويقول لهم يا أمة الاسلام « ان من يطمع في النيل من
وجودكم ايا كان من النوع الذي لا عهد له ولا ميثاق فيها أنا قد

(٧٣) ذاء يأخذ الغنم فتتوت فوراً .

عند من ليسوا من أهل الصدق والاختصاص اللهم أهد عبـادك
الى المخرج السليم يا عليم يا حكيم .

الحديث التاسع عشر

« بين يدي الساعة مسخ وخسف وقذف » (٧٥)

والمسخ يكون بمسخ صور المعاني وليس قلب المعاني وذلك
بسبب فساد الفكر والضمير والوجدان فيبدو الانسان على صورة
مبناه ولكنه على غير ذلك في صورة معناه فالصورة صورة الانسان
ونفسه خالية من معنى الانسانية وعمله لو تجسد أمام الناظر لظهر
في صورة شيطان أو صورة معنى المخلوق الذي يفعل أفعاله .

وأما الخسف فنعوذ بالله منه ونستجير به من سخطه فانسه
يتعلق بكافة أنواع الزلازل والخسوفات والبراكين والانفجارات
الارضية قديمها وحديثها كبيرها وصغيرها حماتها الله من ذلك .

وأما القذف فاحتفظ في مخيلتك أو مفكرتك بأرقام وأنواع
القاذفات التي تفوق على عدد طير الابابيل التي أرسلها الله على
أبرهة وجنوده وقنابلها التي تزيد على عدد الحجارة التي أمطرها
على قوم لوط هذا اذا لم يصب الظالمين ما أصاب أمثالهم والله
تعالى يقول مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد نسأل
الله العافية .

الحديث العشرون

« لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم
المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر
ففيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي
خلفي فتعال فاقتله الا الفرقد فانه من مشجر اليهود » (٧٦)

(٧٥) رواه ابن ماجه عن مسعود رضي الله عنه .
(٧٦) رواه مسلم يسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه ورواه كذلك عن ابن عمر
رضي الله عنهما بلفظ « لتقاتلن اليهود فتلقتنهم » ورواه أيضا بلفظ
تقتلون أنتم ويهود ... الخ .

المهم أن نفهم من هذا الحديث الشريف أن سنة الله لن تتغير ولن تتبدل ولا يستطيع أحد من الناس أن يغيرها أو أن يبدلها كما قال تعالى «ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا» والامور تبدو من خلال النصوص القرآنية وكأنها أدوار تاريخية تمثل سلسلة من الحلقات المرتبطة بتاريخ اليهود على مر العصور وان هذه الحلقات كما بدأت بارتباطها لأول مرة وكيف أنها انتهت بهم الى الزوال وذلك في كل مرة وفي كل دور من الادوار فبعد أن انتهى بهم دور النبوات الى الخسران المبين حيث أهملوا شأنها وتناولوا على حرمتها وطمسوا اثار معالمها فعل الله بهم ما فعل وسلط عليهم من جعلهم به احدثه تنقلها الاجيال جيل بعد جيل جزاء بما كانوا يفسدون أما العبرة فليس لها في نفوسهم أي اثر مفيد فلذلك ظلوا يعادون سيرتهم على نفس الاسلوب الذي قعوده أول مرة مثلهم في ذلك كمثل الذي يحاول أن يجعل من المستحيل ممكنا ومن الباطل حقا الا أن سنة الله قضت أن يظلوا « كمثل الذي يسابق الزمن ليتخذه مطية له يسيره كيف يشاء » . فهو يليه ثم في النهاية عن مراده يبعده ويقصيه بل يجعله كالحالم الذي لا يدري كيف غاب عنه الذي كان فيه .

ولما جاء دور النبوة المحمدية عاد اليهود الى تمثيل نفس الدور الذي عاشه أسلافهم زمن أنبيائهم وهي أدوار مليئة بالمؤامرات والمحاولات والسلبيات والمناوءات وقليل ما هم .

الا أن الحق لم يفسح لهم في عهد النبوة المحمدية أي مجال يذكر فعجل بأخذهم بعد أن ارتكبوا من الاعمال الخبيثة ما استحقوه به من الجزاء الاوفى .

ولما أعلنها النبي صلى الله عليه وسلم عالية مدوية أن « لا يتقابل في الجزيرة ناران » أطفأ الله تعالى نارهم التي أوقدوها بصيب الايمان وكان ما أوروه منها عبارة عن شرارة أحرقوا بها أنفسهم ولم يصب المسلمين منها شيء .

وانتهى أمرهم وظل الزمن يلاحقهم أينما حلوا وفي أي مكان

تولوا وهكذا حتى جاء دورهم في فلسطين وكانوا قد دخلوا فيها بالطريقة التي رسموها قبل ذلك بمدة طويلة وياليت المسلمين أراحوا انفسهم من هذا العناء الطويل الذي عانوه من أجلهم ولكن الغيب ليس ملكا لاحد فهو مفسر من قبل صاحبه في لوح القضاء والقدر حتى يقضي الله أمرا كان منفعولا .

فتارة يقول عنهم « واذا تأذن ربك ليعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب » واخرى يقول لهم « وان عدتم عدنا » وتارة يقول عنهم « كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله » واخرى يقول لهم « فاذا جاء وعد الاخرة جننا بكم لفيفا » واخرى يقول عنهم « ضربت عليهم الذلة أينما تقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة » ثم ان الحديث الشريف يجيء ليبرز الصورة الواضحة الجليلة وليجليها في وقتها الموقوت لاجله المسمى فيقول « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون ... الخ » . أليس في ذلك لفت نظر الى ارتباط الحقيقة بالحقيقة ؟ وأن الربط يعتبر في واقع الامة الاسلامية من أكثر العوامل التي تربطها بأسباب القوة والمنعة والنصر والظفر ؟ ولما لم يسبق في تاريخ الامة الاسلامية انهم لم يقاتلوا اليهود حتى بلغ بهم القتال الى أن كلمهم الشجر والحجر بمثل ما أخبر عنه الحديث الشريف اذن فالامر واضح من سرعة مرور الزمن سوف يؤكد لهم ذلك .

لكن الواقع يشهد بالعكس من ذلك وهل بإمكان الامة الاسلامية في هذه اللحظة أن تظهر بين الامم كأمة موحدة متمسكة بتعاليم الاسلام حتى يمكن القول بأن معنى هذا الحديث ينطبق عليهم انطباقا فعليا نترك الجواب على هذا لمدى ارتباطهم بأسباب عزتهم وسعادتهم وتعاليم اسلامهم على أنه لابد من الوصول الى النتيجة المثمرة في ذلك لان الحديث الشريف يقضي للمسلمين أن يكونوا على مثل عهدهم الاسلامي الصحيح ل يتم بذلك الوعد المحقق ان شاء الله تعالى ولا بد من ذلك .

وفي هذا الحديث الشريف بشارة للمسلمين تبشرهم بنصر
الله لهم على الذين اغتصبوا حقهم وطمعوا في ثرواتهم وكذلك فهو
يدعوهم الى التمسك بتعاليم دينهم وسنة نبيهم وفيه بيان الى أن
ذلك سيكون سببا لتحقيق النصر على خصومهم وفيه تحذير من
هجر تعاليم الاسلام واستبدال أفكار أجنبية أو باتباع سنن الكافرين
لان ذلك مما يفرق وحدتهم ويضعف صفهم ويحولهم الى شعوب
مختلفة في أفكارهم وأرائها منقسمة على نفسها لا تجمعهم رابطة
الدين ولا تربطهم عقيدة المسلمين بل يكون تقاربهم من أجل أمور
الدنيا فما دامت هذه الأمور متبادلة بينهم دام بذلك تقاربهم وإذا
ذهبت انتهى التقارب بذهابها وطبيعتها فان ذلك لا يضمن لهم بقاء
وحدة ولا بناء قوة ، وبناء تاريخ المسلمين على مر العصور لم يقم
الا على أسس المبادئ الاسلامية الصحيحة وفي ذلك أعظم درس لهم
وأن نجاحهم في هذا الدرس كفيلا بأن يقرب يوم النصر الذي ينتهي
فيه أمر أعدائهم ولا يجدون فيه ملجأ ولا وليا ولا نصيرا فاللهم
الهم المسلمين العمل بكتابهم وسنة نبيهم انك تهدي من تشاء الى
صراط مستقيم .

الباب التاسع

« في السلامة من فتن آخر الزمان »

بين أيدينا أمران عظيمان جامعان لجميع معاني أسباب السلامة من الفتن في كل زمان ومكان وكفيلان كذلك بسلامة هذه الأسباب من أن يتطرق إليها الضياع أو أن يعتربها بعض النقص أو الضعف أو الوهن وهما الاصلان الأساسيان في تكوين الأمة قبل أربعة عشر قرنا بعد أن لم تكن شيئا يذكر وهما بكل ما فيهما من مقومات يشكلان منهجا موحدا صحيحا فيه الكفاية عن كل ما سواه لانه نور مبين وصراط مستقيم ... الخ . ومعنى السلامة الكاملة من الوقوع في الضلال والفتن والزيف والحيرة وغير ذلك ويجدر بنا أن نقدم بعض اللوحات عن كل منهما لتتم الفائدة من هذا الكتاب ويعم النفع .

أما القرآن : فالحديث عنه لا يدخل تحت حصر ولا يقف عند حد ولا تتسع له بطون الكتب ولا تحيط به عقول المفكرين ولا الفلاسفة المثقفين نصريحة نص قاطع ومعناه نور لامع وهدايته صبح ساطع وماذا في وسع مبتغيه أن يقول فيه فهو كلام الله تعالى الذي أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا وهو عالم الغيب والشهادة العليم الخبير ولنورد عن الاسترسال في الحديث عنه بعض الايات الكريمة التي تخبرنا عن عظيم فضله وفائق مزاياه وكامل معناه وأبدا بقوله تعالى

١ — ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون .

نعم انه الشفاء النافع من الشكوك والاهوام ومن جميع الادواء المعوقة والعلل المشينة ومن لا يستشف به فليس له فيما سواه شفاء ومن لم يهتد به فليس له في سبيل الرشاد هاد من

العناء فهو حقا هدي للمتقين ودليل للمؤمنين وصراط مستقيم للمسلمين به يعرف الهدى من الضلال والحق من الباطل والصواب من الخطأ والعلم من الجهالة والنور من الظلام والمتقون هم الذين تنطبق عليهم أوصاف التقوى الذين يمسكون للحصول عليها بالسبب الاقوى وهم المؤمنون حقا والمؤمنون يقينا وصدقا والذين واكبوا بايمانهم عصور النبوءات من لدن ادم عليه السلام الى محمد عليه وعلى جميع الانبياء أفضل الصلاة والسلام ففازوا بهذه المواكبة بثواب أعمال الامم وكأنهم موجودون حقا مع لحظات الزمان من القدم جمعوا بين طرفي الامر والنهي وقاموا بهذا الجمع في مقام صاحب سلطان الميت والحي وهبوا جميع معاني الحياة الكاملة قولدوا بميلاد ايمانهم الجديد من بطونها وسرت فيهم معانيها الكاملة بجميع خصائصها وشؤونها تلك طبيعة الايمان لانه مادة الاكوان وروح الزمان وحلقة الوصل بين الازل والابد الجامعة لمعاني التقوى والايمان والعرفان والاحسان خافوا مقام ربهم فاستقبلتهم في الحياتين جنتان ففيهما كمالات الحياة التي لم تعرف النقصان جمعوا بين الحقائق واللطائف والرقائق ووضعوا اقدامهم على باب الجنة وقالوا هذه ارواحنا فاستقبلها. وهذه حياتنا فاستقبلها لن نرجع عنك أبدا ولوقطعنا اربا اربا . وكيف نرجع عنك وانت ماوانا وغايتنا في ديانا وأخرنا ؟

وتسبيح ربنا وحمده فيك أول وآخر دعوانا بل لقاء المولى عز وجل والنظر اليه غايتنا ومنتهانا .

٢ — واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم . — سورة آل عمران

أمر بدون استثناء ولا يخفى عليكم معنى الاعتصام بكافة صوره المعنوية والمادية والحسية والوجدانية والفكرية والتعبدية والعادية . وليس لكم الا هذا الاعتصام حصنا ووقاية لانه يدخلكم في حصن صاحب القوة والعناية لانه تمسك بمبادئ الحق المتين وارتباط قوي بأسباب العز الرصين وانضواء تحت سماء المنهج

المبين ولا تدخلوا فيه بالتجربة فان ذلك يتنافى مع طبيعة اليقين وفي اعتصامكم بالقران معنى الاتحاد والاتحاد كما علمتم قسوة لاتضاد وما من أمة اعتصمت بكتابها الا اعزها الله وكون ذاتيتها واعثنى بها واذهن لها الزمن وهابها وظلت مع الزمن فتية فسي كهولتها وشبابها محفوظة بالرعاية ملحوظة بالعناية عزيزة المراتب مرهوبة الجانب طويلة الباع مميزة في الاخلاق والسجايا والطباع والاعتصام فيه السلامة من التفرقة لان التفرقة ضعف مهين وحال مشين وخسران مبين

٣ — وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله . — سورة الانعام

معنوية تتجلى في أروع صورها لانها تكتسب مقوماتها من اتباع صراط الله المستقيم الذي يسير فيه السائرون على هدى من ربهم وبصيرة عبده لهم مولا هم فجعله سهلا ميسرا واضحا في معالمة المنيرة لا يتركبه البصير ولا يضل فيه مبتغي المسير أمام السائرين فيه رسول مبين ونبي أمين حملة الله تعالى

مسؤولية الامانة على سائر المتبعين وجلال قوة حفظ الشريعة والامر والدين فاكرم به من صراط مستقيم يبدأ ببسم الله ولا اله الا الله محمد رسول الله مركبه لاحول ولا قوة الا بالله وجنباته ذلك الفضل من الله ومثنه «قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله» لايسير فيه الا من هداه الله ولا يتركبه الا من جهله أعماه محطات استراحته أركان الاسلام ومعالم دلالاته أركان الايمان ليس فيه تعثر بل هو نور وتبصر .

٤ — انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم .

(٧٧) ال عمران اية ١٠٢

(٧٨) الانفال اية ٢ ، ٣ ، ٤

حقاً هم المؤمنون ، حقاً في قلوبهم سكن الوجل من الله تعالى واستراح وحل فيها على الرحب والسعة فكان فيها علامة الفلاح والنجاح قراه سماع ذكر الله العظيم الفتح اذا ذكر الله تحرك القلب يقود الجوارح نحو اسباب الفوز والصلاح خوف تتفجر من معناه ينباع المعرفة والحكمة وتتبلور في حقيقته معاني الشعور بالقيام بالمسؤولية بدون ابطاء ولا تهيب لان معنى الخوف من الله تعالى عدم الخوف ممن سواه لعلمهم من خلال هذا الخوف أن الله تعالى المالك وسواه مملوك وأنه المتصرف في ملكه كيف يشاء وغيره ما يملك من قطمير ان منعه اياه وأنه النافع والضار وغيره لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وأنه المحيي والمميت وغيره ليس له من الامر شيء وأن الأمة لو اجتمعت على الانسان على أن تنفعه بشيء لا تنفعه الا بشيء قد كتبه الله له وان اجتمعت على أن تضره بشيء لم تضره الا بشيء قد كتبه الله عليه وأن ما أصاب الانسان لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن كل ذلك بيد الله تعالى وأنه تعالى وعد من أطاعه بالجنة وتوعد من عصاه بالنار وكل ما هو ات قريب فالوجل من الله من طبيعة الايمان والخوف ممن سواه من ايهام الشيطان والشيطان ليس له على عباد الله المخلصين المؤمنين سلطان والخوف من الله حق وممن سواه باطل والخوف من الله قوة وممن سواه ضعف وذلة والخوف من الله شجاعة وممن سواه جبن ومضيعة وخلاعة كيف وقد قال عليه الصلاة والسلام « شر ما في المرء جبن خالع وشح هالع ؟ فحرام على قلب المؤمن أن يوجل الا لذكر الله وأن يخشع الا امام سلطان مولاه وفي ذلك معنى الفضيلة التي هي حلية الابطال وجماع مكارم الاخلاق الكريمة التي ترتفع بها هم الرجال .

ولما ملك الخوف من الله هذه القلوب المؤمنة الكبيرة علمها كيف تتشوق الى سماع آياته العظيمة لتصل بذلك الى ما تشرئب اليه اعناق أصحابها من الوصول الى ذروة السعادة في الدارين فاذا تليت آيات الجهاد بادرت الى صهوات الجياد وانطلقت الى

أهل الشرك والبغي والعناد لا تلوى على شيء حتى تنفذ البلاد والعباد فاما النصر واما الشهادة واذا تليت عليهم آيات الحلال والحرام تركوا جل الحلال مخافة الوقوع في الحرام وأنفقوا من خالص الحلال جل ما يتع في ايديهم بدون تريث ولا اهمال نفوسهم سخية وأكفهم ندية جبلوا على السخاء وتعلموه من سيد الانبياء الذي قال لهم « السخاء خلق الله الاعظم » واذا سمعوا آيات الرحمة تتلى عليهم ازدادوا بايمانهم ثقة بالله وعظم رجائهم في سعة رحمة الله وحسبوا لمولاهم ألف حساب وحساب وهكذا جميع آيات القرآن الكريم اذ كل اية منه كافية لان يكتسبوا بتلاوتها عليهم كامل الايمان وأما انفاقهم من ما اتاهم الله من فضل فليس له حدود فايماهم رصيد روحانيتهم ينفقون منه للوصول في معارج الهدى الى رحمة مولاهم وأموالهم يرصدونها في خزانة ثوابهم اذا انفقوا فرحوا واستبشروا وارتاحوا واذا فقدوا صبروا وسعوا في أسباب الحلال وغدوا وراحوا فهم اخوة في السراء والضراء واسوة لمن بعدهم في الخير والتضحية والفداء ولما اتصفوا بهذه الصفات الظاهرة والباطنة وتحلوا بهذه الاخلاق الكريمة الفاخرة أخبر عنهم القرآن بانهم المؤمنون حقا وأن جزاءهم « درجات عند ربهم — ومغفرة ورزق كريم » .

ه — ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم اجرا كبيرا «

يؤكد سبحانه وتعالى ان القرآن الكريم يهدي الناس للطريق القويم والطريقة الصحيحة القوية التي هي أشد واعدل وأصوب من غيرها اذ هي الصراط المستقيم الذي يتسع لجميع الخلائق لو ساروا فيه دون أن يختلف فيه اثنان .

قال بعض العلماء معنى «التي هي اقوم» — أي — الحالة التي هي أقوم الحالات وهي توحيد الله والايمان برسله — لانه بالتوحيد تتوحد القلوب وتتحد المشاعر وتتالف الارواح وتنقي عن مظاهر الحياة علامة الجفاء وبوادر الخلاف ولن يستطيع أحد من الناس أن ينفرد وحده في ميادين الحياة اذ لابد من أن يكون

مندمجا في حقيقته التي « هي أقوم » وتلك سنة الله في مجامع الخير الى التمسك بتعاليمه وطبقوها بحذافيرها على انفسهم واسرهم وحقيقته وما أن عرف المسلمون أهداف القرآن الكريم حتى اذعنوا لامثال اوامره وبذلك تمت لهم السعادة وظفروا بأسبابها . وتغلبوا على جميع الصعوبات والعقبات التي كانت تعترضهم والقران الكريم كما لم يزل وحتى قيام الساعة عنوان السعادة وهداية النفوس ونور القلوب ومادة الحياة ومنهج الخير والعدل والطهر والتشريع فقد جعله المولى عز وجل كتاب الزمان والمكان فكل فرد له فيه نصيب كبير وكل امرة لها فيه شأن منير وكل مجتمع له فيه خير كثير والحياة حقاً لا تستقيم الا به لانه «يهدى للتي هي أقوم»

٦ — الحمد لله الذي ائزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيمياً — أول الكهف

حمدا لك يارب على هذه النعمة الدائمة التي لا تتغير ولا تتبدل ولا تحول ولا تزول لك الحمد اللائق لعظيم جلالك ودوام سلطانك وبقاء ملكك لك الحمد على جميع هباتك على جميع عبادك حمدا كما نقول وخيرا مما نقول وبجميع محامدك التي حمدت بها نفسك واثنى بها عليك جميع خلقك حمد الدنيا والاخرة ائزلت على عبدك الخاضع لاهرك الكتاب وجعلته قرانا عربيا لا عوج فيه يصح اعوجاج الفطر التي امالتها رياح الاهواء فسمت بها مستقيمة في افاق السماء ومنحتها كل خصائصها لتظل مستقيمة ابدا محفوظة من من الاعوجاج والانحناء « ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون » يضمن للنفس الاستقامة ويحقق لها اسباب السلامة كما قال تعالى «ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون » من أي شيء يخاف اهل الاستقامة ولاي شيء يحزنون فالاستقيم على أمر الله بالاستقامة القران الكريم استقام والنفس بهذه الاستقامة امنة من تقلبات الايام وقد كانت قریش قد سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمور ثلاث وهم يعلمون انه لا يجيب عنها الا نبي مرسل وهي « فتية الكهف

والرجل الذي طاف الارض وملكها والروح » فقال لهم عليه الصلاة والسلام وعلى ما ذكر لم يقل ان شاء الله فزعم الزاعمون أن الوحي تأخر عنه مدة خمسة عشر يوما حتى قال المتقولون ما قالوا مما أحزت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ان جبريل عليه السلام جاء بسورة الكهف الشريفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تحمل الاجوبة الصحيحة والاخبار العجيبة والانباء الرهيبة فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان عاينه من غم لتأخر الوحي عنه وأخبره جبريل عليه السلام بلسان الحق جل وعلا « وما تنتزل الا بأمر ربك » يا محمد ولم يقل بأمر ربي وفي ذلك اشارة بديعة الى ان ربك يا محمد على اتصال دائم بك وأنه لم يغفل شأنك لحظة من اللحظات فانتل على الفور ما اوحى اليك من ربك لعلهم يتذكرون او يتقنون وابدأ بقول ربك « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما .. »

ليعلموا أن اخبارك لهم عما سألوا على لسان الحق جل وعلا الذي لم يجعل لما أنزل عليك «عوجا» بل هو قيم في معناه ومبناه ينطق بالحق ويخبر بالصدق أما قصة أصحاب الكهف فهي من أحسن القصص القرآنية وأعجبها وأطيبها وأعذبها لما فيها من عجائب الاخبار عن ما حصل مع الفتية الاخيار الابرار .

وأما الرجل الذي طاف الارض وملكها فهو ذو القرنين الذي مكن الله له في الارض واتاه من كل شيء سببا وهو رجل من الصالحين وأولياء الله المتقين لايزال اثره في الارض باقيا حيث منع يأجوج ومأجوج من الخروج الى الارض ولولا ذلك لأتى أهل الارض ما يوعدون » فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا » ويلتقي انجاز الوعد في ذلك بزمن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ليدعو على يأجوج ومأجوج بعد خروجهم ولتستريح الارض من شرهم فيموتون موة نفس واحدة فتدبر والله يلهمك الصواب .

وأما الروح فهو قوام هذا الهيكل الانساني لولاه لظل كغيره من الجمادات التي ليس لها معنى في وجودها . الا ما هي عليه

من حال الجهاد لكن بالروح قام واعتدل واستقام وظهر على
ظهر الارض في احسن تقويم ولكن ظلت معاني هذا الانسان بحاجة
الى مادتها وهي روحانية روحانيتها وهو القران الكريم الذي قال
الله عنه « وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا » ليقوم الامر بالامر
اذ الروح من عالم الامر والقران فيه معنى حفظ هذا القيام

فسرت معاني استقامة معناه في معاني
الروح فقام بالعمل على استقامة جسده الذي هو مبناه وتحقق
بذلك استقامة المعنى والمبنى على قواعد هذا الامر فهل لمن
يقدر للقران قدره ان يصحح اعوجاج نفسه به اذا ما راها مالت
به ذات اليمين أو ذات الشمال ؟ هل له ان يقول « القران ليس
فيه عوج بل هو قيم في حقيقته حقيقة الامر » فعلي ان استقيم معه؟
اللهم وفقنا يا كريم يا حلیم يا رحيم .

٧ — الله انزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه
جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى
ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل
الله فما له من هاد

ولنقف من هذه الاية الكريمة عند قوله تعالى « احسن الحديث »
وهذه الصفة من صفات القران الكريم التي جمعت معاني الحسن
اللفظي والبلاغي والتعبري وليس لمعاني هذا الحسن الجامع
لصفات الكمال حد « يقف عنده الواصفون ولا لجمال صورة
البلاغة صورة محددة يحيط بنعتها الناعتون بل كلما انتهى الفكر
من وصف بديع انكشف له من معان حسنة من جديد ما يعجز
عن الاحاطة بوصفه الجميع فمن خصائص هذا الحسن انه اذا سرى
في نفس الانسان معناه اخرج منها اثر حب كل ما سواه ثم يأخذ في
بلورة النفس والقلب والروح فيشرق الكل اشراقة تكشف لكل
منها معالم الهدى والمعارف واللطائف والحقائق بوضوح فتكتمل
في الانسان صورة المعنى والمبنى وتتوارد هذه الصورة المؤمنة
معاني أسماء الله الحسنی بما فيها من جمال وجلال وكمال فتعشق

ذلك كه بأحسن حال ويرتقي الانسان بهذا التعشق في معارج القرب والكمال وتصبح صورته تتكامل بالصورة المحمدية شيئاً حتى تتجسد في الحقيقة بكامل معناها فيأتنس بها كل من يشاهدها ويراهها وتنبهج لها كل نفس يبدو له ويراها .

هذه بعض اثر هذا الحسن البديع وحقا انه «أحسن الحديث» لانه كلام الحق جل وعلا الذي لا يوصف بحرف ولا صوت ولكنه جرى بأذنه على السنة عبادته بلفظ لا يوصف بحدوث لانه تعبير بديع « يدل الفكر على المعاني والمعاني تسري في حقيقة المتشابهة والمتاني وليس لذلك حد » في التعبير ولا الالتماس يحس بحاسة التفكير .

واي حديث « تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم » مثل هذا الحديث « ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله » ذلك لانه كما قال الله تعالى عنه « لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله » .

فلو أن كل واحد أخذ نصيبه من معنى هذا الحديث الذي « هو أحسن الحديث » . . لاتحدث المفاهيم على حقيقة التعبير عنه ولا تنفى عنها اثر الخلاف الى اتحاد المفاهيم اتحاد القلوب واتحاد القلوب اتحاد الارادة واتحاد الارادة يصل بالكل الى بلوغ المراد .

ومن هنا تعلم عظيم الفوائد لتعلم أن الذي « ليس في جوفه شيء من القرآن الكريم كالبيت الخرب » وأن الذي يستظهره فكانما أدرجت النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى اليه فاللهم اجعل جميعا من أهل القرآن ومن علينا بالتعبد الحق بتلاوته يا حنان يا منان .

هذه لمحات جرى استعراض بعض معناها في ميدان الفكر فبرزت وفيها بعض التقويم للذاتية الانسانية بسهولة ويسر والعباد بحاجة الى كتاب فيه معنى هذا التقويم فالانتفاع بالقران فيه كفاية الزمان والمكان لجميع بني الانسان سيما في آخر الزمان الذي فيه

يحتاج الى وافر الايمان ولذلك سنقف عند بعض نصوص السنة المطهرة لنعرف بذلك كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم حرص على أن تظل الأمة الاسلامية متمسكة بتعاليم دينها القويم لتجوز في الدنيا والاخرة من كل كرب عظيم ولتظل مستقيمة على الصراط المستقيم .

١ — عن أبي شريح الخزاعي قال « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أليس تشهدون أن لا اله الا الله وأني رسول الله ؟ قالوا بلى . قال : ان هذا القران طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فانكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا » (٧٩) ١

٢ — عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس في حجة الوداع فقال : ان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم فاحذروا اني قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا : كتاب الله وسنة نبيه — الحديث رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد وله أصل في الصحيح .

في هذا الحديث بيان واضح يبين ان اثار الضلال والكفر وتمويه الشيطان واغواءه قد محا اثره نور الايمان المكتسب من هداية الله تبارك وتعالى والتي جاء بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو معروف من أن الجاهلية الاولى قبل الاسلام

(٧٩) اي هو بين الله وعباده معناه : الله تعالى الذي انزل القران يحيط بحركات عبده المأمور ويشمله برحمته ويتطلب العمل بكتابه ليثيبه فمن قرا القران باخلاص تظله السكينة ويرعاه الله فعلى المسلمين أن يتدبوا معناه ويفقهوا أوامره ويستضيئوا بنوره ليعمد عنهم الزلل والضلال وفيه الحكم والمرشد الى الصواب والراعي الى الحق ومكارم الاخلاق وقد قيل : فضل القران على سائر الكلام معروف غير مجهول وظاهره غير خفي يشهد بذلك عند المتعاطين ووهن المتكلمين وهو المبلغ الذي لا يمل والجديد الذي لا يخلق والحق الصادع والنور الساطع والمحي لظلم الضلال ولسان الصدق النافي للكذب ومفتاح الخير ودليل الجنة اذا أوجز كان كافيا وان أكثر كان مذكرا وان أمر فنافعا وان حكم فمعادلا وان أخبر فصادقا سراج تستضيء به القلوب وديوان الحكم وجواهر الكلم .

كانت تعبد الاوثان والطاغوت والشيطان وتتبع سنن الكافرين والملاحدين والضالين ولما جاء الاسلام وسطع نوره بين الانام أخذ يطارد آثار الجاهلية ويخرجها من أوكار النفوس التي كانت مكمنا للشيطان وجنوده ويطهرها بانتصاره عليها نفسا نفسا حتى اصبحت بعد أن كانت مناصرة للاوثان حربا عليها ومناصرة للحق وظلت تطارد شياطين الانس والجن ممن لم يستجيبوا لداعي الله حتى محت اثارهم من ارض النبوة في المعبورة كلها وخاصة الجزيرة العربية التي ثم تطهيرها قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك اطمأن رسول الله عليه الصلاة والسلام على أمته وديار الاسلام حيث انتهى عهد الضلالة والغواية والفساد وأعلنها صلى الله عليه وسلم صريحة في اخر عهد حياته في حجة الوداع قائلا : « ان الشيطان قد يئس أن يعبد بارضكم ولكن رضي أن يطاع فيما سوى ذلك » — أي — كالرياء في العمل والبدع في العبادات والاعتقادات كون فلان بيده النفع والضرر والتهاون في كسب الذنوب الصفائر منها والكبائر وغير ذلك مما هو معروف لدى الخاص والعام . ولذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك كله وقال مبينا ومؤكدا أن المسلمين في كل زمان ومكان لن يحفظهم من الانزلاق في الذنوب والمعاصي التي هي دون الشرك الاعظم الا الاعتصام بكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام فما داموا معتصمين بهما فهم في مأمن من هذا الانزلاق وأما اذا أهملوا شأن هذا الاعتصام فانهم لا يضمنون لانفسهم ولا لدينهم ولا لدنياههم ولا لعقيدتهم سلامة ولا فوزا ولا نجاحا فتحذير النبي صلى الله عليه وسلم جاء يحمل معنى النصيح لكل مسلم ومسلمة ولكل اسرة من أسر المسلمين ولكل شعب بل وللمسلمين جميعا دون استثناء .

٣ — قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نزل القرآن على خمسة أوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا الحلال وحرّموا الحرام وأعملوا بالحكم وأمنوا بالمتشابه واعتبروا بالأمثال »

وأخرج الحاكم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة ابواب على اسبعة احرف زاجر وامر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال فأحلوا حلاله وحرّموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وامنوا بمتشابهه وقولوا امنا به كل من عند ربنا » .

عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا : « أنزل القرآن على أربعة احرف حلال وحرام لا يغذر أحد بجهالته وتفسيره تفسيره العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه الا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب وروى موقوفا بنحوه .

ألا انما القرآن تسعة احرف
سأتيكها في بيت شعر بلا خلل
حلال حرام محكم متشابه
بشير نذير قصة عظة مثل
فالاثار تبدا بعد حجة القرآن «من أربعة الى خمسة الى سبعة» الى تسعة .

أخرج الترمذي عن علي كرم الله وجهه قال « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتن كقطع الليل المظلم قلت : يا رسول الله وما المخرج منها قال : كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبا من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو جبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الالهواء ولا تلتبس به الالسنه ولا تتشعب معه الاراء ولا تشبع منه العلماء ولا يملسه الاتقياء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه وهو الذي لم تنته الجن اذ سمعوا أن قالوا : « انا سمعنا قرانا عجا » من علم علمه سبق ومن قال به صدق ومن حكم به عدل

ومن عمل به اجر ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم »
خذها اليك يا أعور — أي — قالها علي كرم الله وجهه للحارث
الهمداني وهو من أصحابه .

والفتن المشار اليها في هذا الحديث الشريف هي اشراط
الساعة بكافة انواعها والتي مر ذكرها كل في مكانه من هذا الكتاب
والى أن يرتفع القرآن من الصدور والسطور ولنقف عند كل
عبارة من هذا الحديث الشريف لنعرف باختصار ما ينطوي عليه من
معان سامية مفيدة ان شاء الله فأقول .

قوله صلى الله عليه وسلم : « فيه نبأ من قبلكم » أي اخبار
الامم السابقة من هلك منهم ومن نجا وما سبب هلاك من هلك
ونجاة من نجا وهو واضح من قصص القرآن الكريم التي تتحدث
عن كل نبي مرسل والامة التي أرسل اليها كما هي مفصلة تفصيلا
كاملا وفي ذلك دروس وعبر لكل عبد مذكر فيأخذ الانسان بأسباب
النجاة وهي الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
والقدر والعمل بأركان الاسلام وشرائعه وأخذ الحلال وترك الحرام
والاستقامة على المبدأ الحق وترك اسباب الهلاك وهي الكفر
والظلم والترف والجور والافتراء والفتن والاعوجاج والركون الى
الدنيا والجهل بأمور الدين وترك العمل للآخرة الى غير ذلك مما ليس
له في دين الله سناد قوله صلى الله عليه وسلم « وخبر من بعدكم »
والمعنى : أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثكم
عن اخبار الساعة وجميع الفتن الى يوم القيامة ويحذركم منها
لتسلموا كما سلم المسلمون الاوائل — أو هو — ما أخبر عنه
القران الكريم من اشراط الساعة الكبرى من ظهور الدجال بعد
المهدي ونزول عيسى عند ذلك وخروج يأجوج ومأجوج حتى آخر
علامة من علامات الساعة الكبرى كما تقدم

وقوله صلى الله عليه وسلم « وحكم ما بينكم » واضح
غاية الوضوح يفسره قوله صلى الله عليه وسلم « من حكم به عدل
قال تعالى : « انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس

بما اراك الله « (٨٠) ففي قوله تعالى « بما اراك الله » دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « معصوم من الخطأ في الحكم لان الله تعالى يطلعه بوحيه على وجه الصواب فالحكم في القرآن يضع الحق في مواضعه ويشمل الحكم كل صغيرة وكبيرة من الحكم المتعلقة بالردة والعياذ بالله الى الحكم المتعلقة بالاموال والمظالم وجميع الامور قلت أو كثرت جلّت أو صغرت قال الله تعالى « فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاء من الحق » (٨١) وفي ذلك دليل على أن الحكم بغير ما انزل الله اتباع لاهواء الكافرين الزائغين وقال الله تعالى « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٨٢) فانظر كيف نفى عنهم الايمان الصحيح الصادق بسبب عدم اذعانهم لحكم الله ورسوله كما قال تعالى « واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون أفى قلوبهم مرض أم رتبوا أم يخافون أن يخيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون ، انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا أولئك هم المفلحون » (٨٣)

وقد أهمل المسلمون الحكم بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « لتنقضن عرى الاسلام عروة ، عروة كلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها فأولها نقضا الحكم واخرها الصلاة » رواه احمد وغيره عن ابي امامه وياليت المسلمين قاموا باداء الصلاة على الوجه الاكمل المطلوب من الشرع الشريف فقد الخشوع من الصلاة والكثير يصلون ويأكلون الربا ويشربون الدخان ويسمحون لنسائهم وبناتهم أن يخرجن بزي مخالف لزي الاسلام وكثير منهم مستغرق بالغيبة والنميمة وشهادة الزور والالهو واللعب وغير

(٨٠) النساء اية ١٠٥

(٨١) المائدة من اية ٢٨

(٨٢) النساء اية ٦٥

(٨٣) النور ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١

ذلك مع أنهم يؤمنون المساجد ويصلون ، ونسوا قول الرسول صلى الله عليه وسلم « من لم تنته صلاته . . فلا صلاة له » — أي — أن صلاته ناقصة في معناها لخلوها من الخشوع والهيبة والتفكر والتدبر وغير ذلك من مقوماتها الروحية والوجدانية والمعنوية التي لاتتم اقامتها الا بها والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « صلوا كما رأيتموني أصلي » ويرجع حدوث النقص الى عدم كفاءة الأئمة في المساجد والى اهمال الامة أمر الدين لانهم يهملون حمل بعضهم بعضا على تطبيق تعاليم الاسلام . وتدریس القرآن الكريم تدريسا كاملا ليتم تنشئة الاجيال تنشئة اسلامية صحيحة وقد وصل الامر باستخفاف بعض الائمة الى أن يشرب الدخان ويدمن عليه وأن يخلق لحيته ويتزيا بزي الاجانب ويكتفي بأنه يحمل اسما انتسب اليه مع ما فيه من عدم كفاءة واهمال فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

قوله صلى الله عليه وسلم « هو الفصل ليس بالهزل » — أي — فصل في الامور كلها كبيرها وصغيرها خفيها وجليها سواء كانت دنيوية أو دينية أو اخروية أو عقائدية أو ايجابية أو سلبية وهو مأخوذ من قوله تعالى « انه لقول فصل وما هو بالهزل » فهو يفصل في الامور بالحق والصواب والعدل والقسط ولان أمره جد لاهزل فيه وحاشا للقران الكريم أن يرضي بأدنى حالة من حالات الهزل والله سبحانه وتعالى يقول عنه « ليظهره على الدين كله » ومعلوم أن الهزل لا يفعل شيئا مفيدا ولا يحقق أهدافا سامية وكما حقق القرآن الكريم من أهداف سامية عجز عن تحقيقها أرباب القوى والسلطان ومظاهر الجدد تبدو على جميع اوامره ونواهيه في كل زمان ومكان وليس لصاحب الهزل في تعاليمه موضع قدم . قوله صلى الله عليه وسلم « من تركه من جبار قصمه الله » ايدان لمن يتركه بأنه على مدرجة من العقوبة كما هي سنة الله تعالى لان الجبابة يفسدون في الارض ولا يصلحون ويجعلون من أنفسهم طواغيت يدعون الناس الى موافقتهم في كل ما يقولون ويفعلون فمن وافقهم قربوه وأذنوه ومن خالفهم أبعدوه وأقصوه وحرّموه

وهذا النوع من البشر الغير مؤمنين في كل زمان موجود وكم من جبار قصمه الله بعد أن تناول على سلطان الله تعالى فبدلاً من أن يقول للعباد أنا وأنتم من عباد الله ونحن وإياكم في ملك الله قال لهم : أنتم لي بمنزلة العبيد والملك ملكي والأمر أمري ولي الحق في أن أحكم على عباد الله بما أشاء وأما دعواه فهي مردودة كما قال تعالى « كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار » وعندما يطبع على قلب الإنسان يصبح غير صالح لقبول الحق وإن كان أحلى من العسل وأعذب من السلسبيل وأوضح من نهار بين لانه يستحب العمى على الهدى وإذا أردت الاستزادة فارجع الى أخبار السالفين من الأمم الغابرة والى تاريخ الظالمين والجبابرة كما قال تعالى « فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر » . — سورة القمر

قوله صلى الله عليه وسلم « ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله » مأخوذ من قوله تعالى « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين (٨٤) »

وقد نزلت هذه الآية في «الحارث بن سويد» وكان أخاً للجلال بن سويد وكانا من الانتصار ارتد عن الإسلام هو وأثنا عشر رجلاً معه ولحقوا بمكة كفراً فنزلت هذه الآية ثم أنه أرسل الى أخيه يطلب منه التوبة ولما نزل قوله تعالى « الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم » بعثوا بها الى مكة فلما قرئت قال الرجل المرتد والله ما كذبتني قومي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله أصدق الثلاثة ثم رجع تائباً فقبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركه وقيل نزلت في غيرهم والله أعلم وحاصل القول : أن الذي يبتغي الهدى في غير القرآن الكريم إنسان يحكم عليه الإسلام بالاشراك بالله تعالى ولا يحدث هذا من مسلم أبداً لأن المسلم على بينة من ربه وكم حاول المشركون أن ينالوا من إيمان بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة بعد أن أذاقوهم اليم العذاب ولكنهم لم يستطيعوا أن يحققوا ما هو أدنى

من مثقال ذرة لان الانسان عندما يكون على هدى من الله تعالى يكون مرتبطا ارتباطا مكينا فالحق والقوة والمنعة والثبات فلا يستطيع احد من الناس أن يضلّه أما الذي يبتغي الهدى من غيره فهو على غير هدى من الله تعالى وبذلك يقع في الضلالة ويكون في عداد الذين ضلوا وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وكم في القرآن الكريم من آيات تخبر عن نفس القرآن الكريم بأنه «هدى للمتقين» وبأنه «هدى ورحمة» فهو الهدى حقا ولا يتصور أن هناك من يهدي الى الحق غيره أبدا اذن فطالب الهدى في غيره يشتري الضلالة بالهدى وبذلك يظل من الضالين والضلالة لا تكون ضلالة الا اذا كان الانسان يحمل معتقدا «فاسدا» والعياذ بالله والمسلم لا يحمل الا الاعتقاد الصحيح فتدبر .

قوله صلى الله عليه وسلم « هو جبل الله المتين » مأخوذ من قوله تعالى « واعتصموا بجبل الله جميعا ولا تفرقوا » ويسمى القرآن جبل الله من باب التشبيه المعنوي وليس التشبيه الحسي المادي لوجود الفارق بين الجبل المعنوي والجبل الحسي المادي لان الجبل المعنوي مضمون البقاء متوفر القوة دائما وأبدا بخلاف الجبل الحسي المادي فانه معرض للتلف والنقض من بعد قوة لكن وجه التشبيه في هذا ليس الا لكون الجبل ذا طرفين لا يقبل التثليث فيما اذا كان طرفه العلوي مرتبطا بعروة وثيقة متينة متصلة بمتانتها بأجزاء الجبل الاشم مثلا وكان الانسان في هوة سحيقة وطرفه بيديه استطاع الانسان انتشال نفسه من الهوة السحيقة الى السبيل الذي يوصله دار مأمنه بسلامة وهذا ما عبر به الحديث الشريف المتقدم حيث قال « طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فانكم لن تزلوا ولن تهلكوا بعده أبدا .. » تقدم الحديث والتعليق عليه

الم يكن العرب في جاهليتهم قبل الاسلام في هوة سحيقة رمتهم فيها وبغير رحمة اثار الجاهلية العمياء وكبكتهم فيها معا وأشتاتا ولم يجدوا وقتئذ الا من كان لا يستطيع أن يمد لهم يدا لينقذهم منها وفاقد الشيء لا يعطيه لكن لما أنزل الله

تعالى من عليائه هذا الحبل وقال لهم خذوا بطرفه بأيديكم القوية وسواعدكم الفتية وارقوا من أعماق هوتكم ولا تخافوا لان طرفه العلوي بيدي وثقوا بمتانته وارتقوا به افرادا وجماعات حتى اخر رجل منكم وقد خرجوا بسببه من ظلمة تلك الهوة وضيقها الى نور الاسلام وسعة الحياتين .

قوله صلى الله عليه وسلم «ونوره المبين» وللقران اسماء كثيرة منها هذا الاسم «نور» قال تعالى « وأُنزلنا اليكم نورا مبينا » وهذه العبارة مأخوذة من هذا النص القراني الكريم فالقران الكريم حقا هو النور المبين هو نور القلوب وسراج العقول بل نور كل موجود وسراج كل غائب ومشهود « يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » . نور أوقده الله تعالى «في قلوب عباده المؤمنين» فأضاءت به جنبات نفوسهم ثم انطلق النور يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يضي لهم سبيل الحق أينما ساروا وحيثما كانوا فهو كما قال تعالى « كمشكاة فيها مصباح » المصباح فيزجاجة الزجاجاة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور » وهل هناك مثل مثل هذا المثل يصف نور الايمان في القلوب عن طريق مثل هذا التمثيل حقا انك لو وضعت هذا المصباح الحصين الدائم الانتقاد في مهب الرياح فانه يظل متقددا كما هو في ذاتيته المشعة ومادته المضيئة قبل أن يستخدم للاستصباح في هذا المصباح المركب من أصفى انواع الزجاج حتى لو طفت به الارجاء وطرت به بين الارض والسماء ثم انك لاتجد مضادا ينقصه ولا سببا يضعفه انظر قوله تعالى « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ... » . وقوله تعالى « والله متم نوره » وقد اضافنه النبي صلى الله عليه وسلم لله تعالى اضافة حقيقية لانه كلام الله وكلامه تعالى نور على نور فالحق عز وجل نور وكلامه نور انزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم وهو نور ثم استقر في القلوب النيرة المنيرة المستنيرة فهو في قلوب المؤمنين

نور ومصباحه الاول الحافظ له في السماء المدد الالهي وزجاجته الاولى الحقيقة وزجاجته الثانية الشريعة وزيتونته شجرة الوجود ومادته عصارة وخلاصة هذه الشجرة قوله صلى الله عليه وسلم « والذكر الحكيم » وهما اسمان من أسماء القران الكريم قال تعالى « ذلك نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم » وجاء بعد أن قص القران الكريم على الناس خبر عيسى عليه السلام منشأه ومولده ومبعثه ومعجزاته ودعوته ورفعته الى السماء وكان أمر عيسى عليه السلام مسألة من المسائل المتعلقة بالمعتقدات حيث كانت عقيدة كثير من الناس في أمر عيسى عقيدة فاسدة ليس لها اتصال بطرف الحقيقة لانهم قالوا في امره كلمة الكفر وانقسموا في شأنه على انفسهم فهم كما أخبر عنهم القران الكريم في سورة المائدة وغيرها لكنه — اي — القران الكريم جاء يخبر عن عيسى عليه السلام بأسلوب يأخذ بالالباب ويدهش العقول ويبعث في النفوس بواذر الاريحية وبالتالي ينتهي بها الى القناعة التامة بأن مثل عيسى عليه السلام « كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » « ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » وقد تعلق به حكم اليجاد أن يأتي بلا أب كما تعلق حكم اليجاد بادم أن يأتي بلا أب ولا أم ويوم جاء ادم عليه السلام لم يكن هناك بشر يذكر اذن فروع جلال هذه الحكمة الحكيمة تتجلى في حقيقة هذا المثل اذا كان الله تعالى جاء بادم بدون أب ولا أم فهو « ذكر حكيم » يبعث النفوس من غفلتها ويوقظها من نومتها ويذكرها بزلتها ويجعلها عالمة حكيمة تدخل مع الامور بحقيقة التذكر والحكمة قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام « لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم » وقال تعالى « وانه لذكر لك ولقومك » « فذكر ان نفعت الذكرى ، سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى » واي شقي اشقى من الذي يجرد الحق جل وعلا من الوهيته وسلطانه وينقلها بزعمه الى الذي لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا والكلام في هذا يطول .. اه

قوله صلى الله عليه وسلم « وهو الصراط المستقيم » وهو في غاية الوضوح حيث ذكر الصراط في القرآن في عدة مواضع في فاتحة الكتاب « أهذا الصراط المستقيم » وفي سورة النساء « ويهديهم اليه صراطا مستقيما » وفي سورة الانعام « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه . . » وفي سورة يوسف عليه السلام « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله . . » وفي سورة يس « أنك لمن المرسلين على صراط مستقيم » وفي سورة الشورى « وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض . . » وهناك مواضع اختصرتها وهي معروفة فالصراط المستقيم الذي لا عوج له لانه يقوم الامور في النفوس على حقيقتها ويسير بالناس في ظل منهج واحد على هدى من الله وبصيره فلا ميل ولا زيغ ولا عمى ولا ضلالة ولا تنكب ولا نصب ولا عناء ولا ضيق ولا انحراف ولا تعثر ولا شك ولا تخلف ولا حيرة ولا توقف والسير فيه بثبات من بدء الحياة الى المات ينتهي بالانسان الى الآخرة بفطرة مستقيمة نقية طاهرة سليمة ثم من قبره الى قصره لتتم له السعادة الابدية ويدخل في الحياة الكاملة السرمدية .

قوله صلى الله عليه وسلم « وهو الذي لاتزيغ به الالهواء » والالهواء تنقسم الى قسمين الاول يميل بالانسان الى الحق والثاني يميل به الى الباطل والذي يميل الى الحق موحد والذي يميل الى الباطل مفروق فأهل الحق متفقون على هوى واحد وهو الميل الى الحق وأهل الباطل منقسمون على أنفسهم كل يحمل هوى يختلف به مع هوى الآخرين ولذلك فأهواء أهل الحق مجسدة في معنى الحقيقة تجسيدا صحيحا وبحكم هذا الميل الى الحق يتحقق الارتباط بمبدئه الواحد الصحيح وهو مبدأ التوحيد الذي يجمع القلوب ويوحد المفاهيم والشعوب لان أهواء أهل الحق تتصرف حسب مقتضى أهداف الايمان السامية ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » وأول أهداف الايمان جمع القلوب على حقيقة التوحيد وبذلك

يتحقق توحيد الاهواء فتتم وحدة المسلمين وينطبق عليهم معنى « كالجسد الواحد » « وكالبنيان يشد بعضه بعضا » فالقران الكريم من عند الله موحد في معناه واحكامه واهدافه فما دامت الاهواء معه ومع تعاليمه فهي بتعاليمه دائما مستقيمة بعيدة عن الزيغ والزلل .

قوله صلى الله عليه وسلم « ولا تلبس به اللسنة » لانه لايشبه كلام البشر وفي غاية الوضوح في اسلوبه ونظمه يسهل على القارئ قراءته على حقيقته حتى ولو كان اللسان غير عربي فانه ينسجم معه انسجام النور في خطه المستقيم قال تعالى « وهذا لسان عربي مبين » وهو كفيل بسلامة اللسنة من الملابس والاطعاء بل انه كفيل بتقويمها واعطائها صفة التقويم أبدا فكلما كررته بالتلاوة كلما ازدادت فراسة وتقويما ولسان المؤمن وراء قلبه فهو لا يترجم الا عن معنى الحقيقة المستقرة في قلبه وليس ثمة مجال لغيرها فيه فمثله في حالته هذه كمثل الناظر بعينه الى ما فيه وسواء قرأه الانسان في سطورهِ وفي صدوره فهو كما قال المولى عز وجل « بل هو آيات بينات في صدور الذين اتوا العلم » وبما أن اللسان يهوى الفصاحة ويتعشقها وينسجم معها فانه يلتزم العبارات القرآنية التزاما يتناسب مع تطلعه الى الانسجام مع فصاحة القران الكريم وبذلك يسلم من الالتباس وينطبق عدم الالتباس كذلك على تأويل المعنى القرآني لانه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير .

وقوله صلى الله عليه وسلم « ولا تتشعب معه الاراء » والاراء جمع رأي والرأي عبارة عما يراه الانسان في نظره صوابا حتى ولو كان الانسان مخطئا في رأيه فهو في نظريته الفاسدة يظن الخطأ صوابا وأما صاحب القران فليس له معه رأي الا ما يعرفه من تصويبه للامور على حقيقتها فهو يحكم هذا التصويب بجمع الاراء كلها على معرفة الحق الغير متشعب .

ولما توحد رأي المسلمين به حفظهم الله تعالى من الاختلاف أو الاجتماع على ضلالة ولا يعني تعدد المذاهب الفقهية أن هناك

خلافاً في الاراء وليس كذلك فان المذاهب انما دونت لبيان وجوه الشريعة الاسلامية المسفرة عن جمال التشريع الاسلامي ليتعشق كل انسان مع المقلدين ما يحبه منها أما العقيدة فهم متفقون على توحيد معناها توحيداً يتناسب مع حقيقتها حتى مع وجود مسائلها الكثيرة لان مسائلها ليست كمسائل الفقه وخلاصة القول أن آراء المسلمين موحدة لانها تجتمع على بيان مسائل التشريع بياناً يتناسب مع تعدد وجوها وليس ثمة مجال لمعنى الاختلاف في الاصول والعقيدة حتى ان آراء المؤمنين في العقيدة متفقة على صحتها من لدن ادم عليه السلام الى محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين .

وقوله صلى الله عليه وسلم « ولا تشيع منه العلماء » دليل على أن للعلماء في أفكارهم ميادين واسعة ليس لها حدود وأن في قلوبهم خصائص القلبية اللامنتهية لتوالي استيعابها لمعانيه ولأنه يحتوي على مادة الحياة المنمية للشخصية والمواهب والشعور والوجدان ولأنها مادة حلوة عذبة ذات خصائص شهية في ذوقها وتذوقها من شأنها أن تزيد الانسان في لمحات الحياة توقفاً الى معرفتها وتناولها من فنن دوحتها ورصدها في خزانة الفكر الغير محدودة وفي خزائن المعارف القلبية اللامنتهية قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم « وقل رب زدني علماً » وقال صلى الله عليه وسلم « اذا أتى علي يوم لا أزداد فيه علماً يقرئني الى الله تعالى فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم » (٨٥)

قوله صلى الله عليه وسلم « ولا يملأه الاتقياء » وهذه العبارة قريبة المعنى من أختها الاتفة الذكر لان العلماء هم الاتقياء والاتقياء هم العلماء وكلاهما عالم عامل يطلب العلم بالتقوى ويحصل على التقوى بالعلم مع حرصهم الشديد على انفاق الوقت فيما يقرب من الله تعالى بهم وكم في القرآن الكريم من آيات كريمة تشيد بذكر العلماء والاتقياء العاملين وترفعهما الى

(٨٥) رواه الطبراني في الاوسط وأبو نعيم في الحلية وابن عدى عن عائشة رضي الله عنها

الدرجات العلى في الدنيا والاخرة « مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » كيف لا وإمام العلماء الاتقياء حبيب الله الاعظم ورسوله المكرم هو قائدكم ومعلمهم وأسوتهم وهو القائل « اطلوه فان الله يأجركم بكل حرف عشر حسنات » ؟ وبما أن قارئ القرآن بعلم وتقوى وتدبر وتفكير واعتبار وتشوق وتذوق واستحضار لعظمة الله تعالى وجلاله طمعا في رحمته وعفوه يزداد أنسا بمولاه حال كونه مستغرقا بمناجاته قرير العين بما يتحفه من هباته فانه ينفق في تلاوته جل أوقاته ولا يمله ولو قرأ في كل يوم أو في كل أسبوع . من الافضل قراءة القرآن في كل ثلاثة ايام مرة ، وذلك ادعى لاسباب التفقه فيه والتدبر .

قوله صلى الله عليه وسلم « ولا يخلق على كثرة الرد » بمعنى أنه قائم بالحجج الدامغة لمزاعم المبطلين الى يوم الدين وأنه يتجدد مع تجدد الارمان محفوظ من أن تمتد اليه أيدي المحرفين كغيره من الكتب بل هو كما قال الله تعالى عنه « بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ » وهو مادة الحياتين الازلية والابدية اكتسب خصائصها من أمر الله تعالى لانه صفة قديمة قائمة بذاته وبذلك قامت الحقائق الكونية وثبتت على أسسها الثابتة بحكم اثبات نصوصه لها فهو في لحظات الزمن تتناول نصوصه دقائق القلوب وخطرات النفوس وتأملات العقول يعطي كل ذرة من الوجود ما تحتاجه كما قيل فيه :

ما حوربت قط الا عاد من حرب

أعدى الاعادي اليها ملقى السلم

ردت بلاغتها دعوى معارضها

رد الغيور يد الجاني عن الحرم

قوله « ولا تنقضى عجائبه » وهذه العبارة كذلك قريبة المعنى ممن سبقتها ويجوز أن يكون المراد من هذه العجائب الكونية التي أخبر عنها القرآن الكريم أنها ستظهر في أوقاتها

المحددة لها فما من عجيبة كونية مرئية أو غير مرئية متقدمة على نزوله أو متأخرة علوية أو سفلية انسية أو جانية أزلية أو أبدية ظهرت أو لم تظهر بعد الا تحدث عنها القرآن بحديث مشوق لمعرفة ما قال تعالى « ما فرطنا في الكتاب من شيء » فالطبيعة وما تحتوي عليه من ثروات لا ينتهي اكتشافها أبدا ولو استخدم الانسان في ذلك كل ما يملك من وسائل علمية حتى آخر الزمان فانه يرى نفسه وكأنه لم يكتشف شيئا بعد أما بالنسبة لما يتعلق بذات الانسان نفسه فانه لم يغفل منه ولا خلية من خلاياه وأن ما انتهى اليه علم العلماء الى ما في عجائب تكوينه هو بحاجة الى اكتشاف ما وراء ذلك مما لا يقف بهم عند حد ولا يدخل تحت حصر وهـل في استطاعة الانسان أن يكتشف سر الحياة كالروح المدبرة والعقل المفكر وادراك الحواس المدركة وكيفية طريقة ادراكها كالسمع والبصر وغيرها وانبعث سر الادراك من كل منها وهنا نقف عند هذا المقدار والله الموفق .

قوله : وهو الذي لم تنته الجن اذ سمعوه أن قالوا
« انا سمعنا قرانا عجا »

وذلك لان بعثة النبي صلى الله عليه وسلم تشمل الجن والانس وهم مكلفون بالايمان به كالانس وهذه الآية الكريمة جاءت في سورة الجن التي افرد بها القرآن الكريم للحديث عنهم حيث أخبر بأنهم بمجرد سماعهم لتلاوته « قالوا انا سمعنا قرانا عجا يهدي الى الرشـد فأما به ولن نشرك بربنا أحدا وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وأنه كان يقول سفيها على الله شططا » الى آخر السورة فهي بما اشتملت عليه من انباء انما تدل على أن القرآن الكريم لا تستطيع النفوس الجبارة أن تواجهه ولا العتاة أن تتأخر عن الاذعان له فبمجرد سماعهم للقران من رسول الله صلى الله عليه وسلم سرى بتأثيره في نفوسهم فسيطر على كل ما يملكون من قوى ذاتية ولم يسمعهم الا « أن قالوا انا سمعنا قرانا عجا » .. الخ

قوله « من علم علمه سبق » لانه يمتطي جواد السبق في

ميدان المعرفة حتى ينتهي به الى رؤية الحق جل وعلا في جنات عدن كما قال تعالى « والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم » وكما قال تعالى « ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها » الى آخر الايات وما ذلك الا لان اهل العلم والمعرفة بالقران من اهل هذا السبق لما عملوا بما علموا قوله « ومن قال به صدق » لانه كلام الله تعالى الذي « لا ياتي الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » وقال تعالى : « والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤون عند ربهم » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصدق الحديث كتاب الله » . والامر واضح جلي من أن الذي يقول بالقران يصدق لانه يأتي بالخبر المطابق للواقع والواقع هو علم الله .

قوله : « ومن حكم به عدل » لان فيه جميع الاحكام الشرعية العادلة التي لاجور فيها ولا حيف وهي تشمل جميع شؤون الحياة بكافة انواعها وما من شأن من شؤونها أو أمر من أمورها الا له في التشريع الاسلامي حكم خاص به يعطيه صفة العدل والتوسط وهذا مما يطول شرحه فاطلبه من كتب الفقه تجد كل شيئا مفصلا تفصيلا وافيا .

قوله : « ومن عمل به أجر » وليس للعامل بالقران أجر الا الجنة كما قال عليه الصلاة والسلام « يقال لقارئ القرآن اقرأ وارتنق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها » ومعلوم أن هذه الدرجات لم تحصل الا بالقراءة والعمل معا وليس بمجرد القراءة دون العمل فان القران الكريم حجة للانسان أو حجة عليه فمن قرأه وعمل بما فيه نال الدرجات العلى ومن قرأه ولم يعمل به زجه لقناه الى النار نسأل الله العفو والعافية .

قوله : « ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم » فيا دعاة الحق والهدى شمروا عن سواعد الجد وامتطوا عزيمة الايمان وجدوا وثابروا واصبروا وصابروا وشدوا العزم وانفروا وتمسكوا

بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وكونوا من
الدعاة المخلصين والعلماء العاملين والانتقياء المخلصين والفقهاء
الناصحين والوعاظ البارعين واجعلوا القرآن امامكم وسنة نبيه
عليه دليلكم وعظوا الناس بأحوالكم قبل ان تعظوهم بأقوالكم وأدوا
الى الله امانتكم وقولوا الحق من ربيكم وانصحوا لله ولكتابه
ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم وخاطبوا الناس بما تصل اليه
عقولهم ومروا بالمعروف وانهوا عن المنكر وكونوا كما قال الله عنكم
« كنتم خير امة اخرجت للناس » وكما قال تعالى « ومن احسن
قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين » .

وصلى الله وسلم وبارك على حبيبه محمد وعلى اله وصحبه
ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

بمعون الله وتوفيقه تم الكتاب والله الموفق للصواب واليه
المرجع والمساب ، ورحم الله امرءا اعاننا على نشر العلم والانتفاع
به ابتغاء مرضات الله تعالى اللهم تقبل منا يا كريم

المؤلف

علي علي محمد

وكان الفراغ منه في ١٢ ربيع الاول سنة ١٤٠٠ هجرية

وكان الفراغ من نسخه وتنقيحه في ٢٤ شعبان سنة ١٤٠٠
هجري

مصادر الكتاب

.	تفسير القرآن الكريم
.	تفسير بن كثير
.	صحيح البخاري ومسلم
.	فتح الباري
.	البداية والنهاية
.	الترغيب والترهيب
.	شرح الجامع الصغير
.	رياض الصالحين
.	الاشاعة في اشراط الساعة
.	العقائد الاسلامية
.	تنوير القلوب
.	الحاوي للفناوي
.	نور الابصار
.	التاج الجامع للاصول
.	تذكرة القرطبي
.	مسند الامام احمد
.	حقيقة الخبر عن المهدي المنتظر
.	الثغناء
.	البواقيت والجواهر
.	الفتوحات المكية
.	خريدة العجائب
.	المحلى
.	بالاضافة الى مصادر اخرى

الفهـرس

رقم الصفحة	الموضوع
٢	الاهـداء
٣	مقدمة
٥	كلمة المؤلف
٧	الباب الاول — الايات القرانية الواردة في ذكر اشراط الساعة والسؤال عنها .
١٢	الباب الثاني — في ذكر اشراط الساعة الصغرى
١٧	الباب الثالث — في ذكر المهدي
١٨	الباب الرابع — في ذكر الاحاديث الواردة في المهدي
٢١	فصل — في اسماء الكتب المؤلفة في المهدي
٢٣	فصل — ما جاء في مسند الامام أحمد عن المهدي
٢٤	فصل — ما جاء في التذكرة عن المهدي
٢٨	الباب الخامس — في معنى آخر الزمان
٣٦	الباب السادس — في ذكر العلامات الكبرى للساعة
٥٢	الباب السابع — في ذكر الكعبة ومالها من خصائص ومزايا
٧٠	الباب الثامن — في الاحاديث النبوية فيما يكون بين يدي الساعة .
٩٦	الباب التاسع — في السلامة من فتن آخر الزمان

جدول تصويب الاخطاء

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطا	الصواب	رقم الصفحة	رقم السطر	الخطا	الصواب
٧	٢	وشراطها	أشراطها	٩١	٦	المقدس	بيت المقدس
١٠	١١	ذكرها	ذكرها	٩٢	٤	المعاني	المعاني
١٥	٢٨	نضر	نصر	٩٢	١٠	بكافة	بكافة
٢٤	٢٢	ومظاهره	ومظاهره	٩٢	٢٠	ففيقول	فيقول
٢٩	٢٣	انلم	انكم	٩٢	٢١	مشرح	شجر
٣٠	١	بمصبح	بمصباح	٩٣	١٣	تعوده	تعوده
٣٥	٢١	وفنيه	وفيه	٩٤	٦	واذا	واذ
٤٢	٣	الفئة	الفئام	٩٤	١٠	ثقفوا	ثقفوا
٤٤	٢٠	قبل ان	فبدات	٩٥	٥	واستبدال	واستبدالها
٤٤	٢٨	بسؤوهم	يسؤوهم	٩٥	٦	يغرق	يغرق
٤٥	٨	قراه	قراءة	٩٧	١٥	ففيهما	فيهما
٤٦	١١	والمهم	والمهم	١٠٠	١١	روحانيتهم	روحانيتهم
٥٠	١٥	اسود	أسودا	١٠١	٢١	من من	من من
٥٤	١١	مكة	بكة	١٠٢	٤	أحزت	أحزن
٦١	٩	لسوا	ليسوا	١٠٣	١٣	انزل	نزل
٦١	٢٨	مواقهم	مواقثم	١٠٤	٩	المثاني	المثاني
٦٢	٩	الوسطى	الوسط	١٠٥	٢٣	يتدبروا	يتدبروا
٦٤	٩	أحد	أحدا	١٠٦	٨	ثم	ثم
٦٤	٢٧	موثوق	موقوف	١٠٦	٢٨	بالحكم	بالحكم
٦٤	٢٨	وحجو	وحجوا	١٠٦	٢٣	سلم	سلم
٦٥	٣	فيتم	فتم	١٠٧	٨	يغذر	يغذر
٦٨	٣	أنكم	أنكم	١٠٧	٨	وتفسره	وتفسره
٦٩	٧	الكعبة	الكعبة	١٠٧	١٢	سأنيكها	سأنيكها
٧٦	٢٢	القرا	القران	١٠٧	١٥	حجة	أوجه
٧٧	١٥	فيدها	فيذرها	١٠٧	٢٠	فنلكم	قبلكم
٧٧	٢٠	ترضض	ترضض	١٠٩	١٤	يخيف	يخيف
٧٨	٢٩	قوم ..	قوم لوط	١٠٩	١٦	وأولئك	وأولئك
٨١	٦	صررا	ضررا	١٠٩	٢٣	نقد	نقد
٨١	٩	وقبيل	وقبيل	١١٢	٢	فالحق	بالحق
٨٢	١١	يهرب	يهم	١١٣	١٤	يضي	يضي
٨٤	١٣	هذا	هذا الحديث	١١٦	١٥	وفي	أو في
٨٤	١٩	وأن	وأما	١١٨	٩	قرأ	تراه
٨٦	٨	فيها	فيها	١١٨	١٠	أيا	أيام
٨٦	٢٢	شفاء	شفاء	١٢٠	١٠	كتاب	كلام
٨٧	١٠	وأدعاء	وأدعاء				
٩٠	١٥	سبيه	شبيه				

